من حلقة البلاغة والنقد



# شذرات من كتاب : التبيان في

# أقسام القرآن

## لابن قيم الجوزية (١)



عائشة

# شذرات من كتاب : التبيان في

# أقسام القرآن

## لابن قيم الجوزية (١)

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى رسولِ الله ، أمَّا بعدُ : فهذه شَذَراتٌ التقطتُها مِن كتابِ ( التِّبيان في أقسامِ القُرآن ) ، للإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمه الله تعالَى ، وأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن ينفعَ بها .



## السِّرُّ في ذِكْرِ ثمودَ دونَ غيرِهم من الأُممِ في سورةِ الشَّمسِ

نَقَلَ الإمـامُ ابنُ القيِّمِ عن شيخِهِ ابنِ تيميَّةَ رحمهما الله تعالَى السِّرَّ في هذا ؛ فقال : « وذكرَ في هذه السُّورةِ ثمودَ دونَ غيرِهم من الأُممِ المكذِّبة ؛ فقالَ شيخُنا : هذا – واللهُ أعلمُ – مِن باب التَّنبيهِ بالأدنى علَى الأعلَى ؛ فإنَّه لَمْ يكُن في الأُممِ المكذِّبة أخفُّ ذنبًا وعذابًا منـهم ؛ إذْ لَـمْ يُذْكَرْ عنهُم من الذُّنوبِ ما ذُكِرَ عن عـادٍ ، ومَدْينَ ، وقَوْمِ لوطٍ ،

وغيرِهم ... » .

وظَهَرَ للإمامِ ابنِ القيِّم رحمه اللهُ تعالَى معنًى آخَرُ ؛ يقولُ : « قلتُ : وقد يَظهرُ في تخصيصِ ثمودَ ههنا بالذِّكر دونَ غيرِهم معنًى آخَرُ ؛ وهو أنَّهم رَدُّوا الهُدَى بعدَمَا تيقَّنوهُ ، وكانوا مُستبصِرينَ بهِ ، قد ثَلِجَتْ له صدورُهم ، واستيقنَـتْه أنفسُهُم ، فاختارُوا عليه العمَى والضَّلالةَ ؛ كما قالَ تعالَى في وَصفِهم : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَىٰ عَلَى الْـهُدَىٰ ﴾ ، وقالَ : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ ؛ أي : مُوجبةً لـهُم التَّبصرةَ واليقينَ . وإن كانَ جميعُ الأممِ المُهلَكَةِ هذا شأنُهم ؛ فإنَّ اللهَ لَمْ يُهلِكْ أُمَّةً إلَّا بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليها ؛ لكن خُصَّتْ ثمودُ مِن ذلكَ الهُدى والبصيرةِ بمزيدٍ ؛ ولهذا : لَمَّا قَرَنَهم بقومِ عادٍ ؛ قالَ : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَـكْبَرُواْ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ ، ثمَّ قالَ : ﴿ وَأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَىٰ عَلَى الهُدَىٰ ﴾ ؛ ولهذا : أمكنَ عادًا المكابرةُ ، وأن يَقولوا لِنَبيِّهِم : ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ ، ولم يُمكِن ذلكَ ثَمودَ ، وقد رأَوا البيِّنة عِيانًا ، وصارَتْ لهم بمَنزلةِ رُؤيةِ الشَّمسِ والقَمرِ ؛ فرَدُّوا الهُدى بعدَ تيقُّنِه ، والبَصيرةِ التَّامَّةِ به ؛ فكانَ في تَخصيصِهم بالذِّكرِ : تَحذيرٌ لكُلِّ مَن عَرفَ الحقَّ ولم يتَّبِعْهُ ، وهذا داءُ أكثرِ الهالِكينَ ، وهو أعمُّ الأدواءِ ، وأغلبُها على أهلِ الأرضِ . واللهُ أعلم » اهـ

## مُقابَلةُ ﴿ اتَّقَىٰ ﴾ بـ﴿ استَغْنَىٰ ﴾ في سورةِ اللَّيلِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « فإن قيلَ : كيفَ قابَلَ ﴿ اتَّقَىٰ ﴾ بـ﴿ اسْتَغْنَىٰ ﴾ ، وهل يُمكِنُ العبدَ أن يَستغنيَ عن ربِّه طَرْفةَ عَيْنٍ ؟

قيلَ : هذا مِنْ أحسنِ الْمُقابلةِ ؛ فإنَّ الْمُـتِّقي لَـمَّا استَشعرَ فَقرَه ، وفاقتَه ، وشِدَّةَ حاجتِه إلى ربِّهِ = اتَّقاهُ ، ولـم يَتعرَّضْ لسخطِه ، وغَضبِه ، ومَقتِه ؛ بارتكابِ ما نهاهُ عنه ، فإنَّ مَن كانَ شديدَ الحاجةِ والضَّرورةِ إلى شَخصٍ ؛ فإنَّه يتَّقي غَضبَه وسخطَه علَيه غايةَ الاتِّقاءِ ، ويُجانِبُ ما يَكرهُه غايةَ الْمُجانَبةِ ، ويَعتمِدُ فِعلَ ما يُحبُّه ويُؤثِرُه .

فقابل التَّقوى بالِاستغناءِ ؛ تَبشيعًا لحالِ تاركِ التَّقوى ، ومُبالغةً في ذَمِّه ؛ بأن فَعَلَ فِعْلَ الـمُستَغني عن ربِّه ، لا فِعْلَ الفقيرِ الـمُضطرِّ إلَيه ، الَّذي لا مَلجأَ له إلَّا إلَيه ، ولا غِنَى له عن فَضْلِه وجُودِه وبِرِّه طَرْفةَ عَيْنٍ .

فلِلَّهِ ما أحلَى هذه الْمُقابلةَ ! وما أجمعَ هاتَينِ الآيتَينِ للخَيراتِ كلِّها وأسبابِها ، والشُّرورِ كلِّها وأسبابِها ! » اهـ



## تَفسيرُ النَّاس يَدورُ علَى ثَلاثةِ أُصولٍ

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « وتَفسيرُ النَّاس يَدورُ على ثَلاثةِ أُصولٍ :

- **تَفسيرٌ على اللَّفظِ :**

وهو الَّذي يَنحُو إلَيه المُتأخِّرونَ .

- **وتَفسيرٌ على المعنَى :**

وهو الَّذي يَذكرُه السَّلَفُ .

- **وتَفسيرٌ على الإشارةِ والقياسِ :**

وهو الَّذي يَنحُو إلَيه كثيرٌ مِن الصُّوفيَّةِ وغَيرُهم . وهذا لا بأسَ به بأربعةِ شرائطَ :

١. ألاَّ يُناقِضَ مَعنَى الآيةِ .

٢. وأَن يكونَ مَعنًى صحيحًا في نَفسِهِ .

٣. وأن يكونَ في اللَّفظِ إشعارٌ به .

٤. وأن يكونَ بينَه وبينَ معنَى الآيةِ ارتباطٌ وتَلازُمٌ .

فإذا اجتَمعَت هذه الأمورُ الأربعةُ ؛ كان استِنباطًا حَسَنًا » اهـ

## ذِكرُ الفِعلِ في ﴿ أَثَرْنَ ﴾ و﴿ وَسَطْنَ ﴾ أَحسنُ مِن ذِكرِ الاسمِ

قـالَ الإمـامُ ابنُ القـيِّم رحمهُ اللهُ تعـالَى : « وكانَ ذكرُ الفِـعْلِ في ﴿ أَثَـرْنَ ﴾ ، و﴿ وَسَطْنَ ﴾ أَحسنَ مِن ذِكْرِ الاسْمِ ؛ لأَنَّه سُبحانَه قسَّمَ أفعالَـهنَّ إلى قِسمَينِ : وَسيلةٍ ، وغايةٍ ؛ فالوَسيلةُ : هي العَدْوُ ، وما يَتبَعُه مِنَ الإيراءِ والإغارةِ ، والغايةُ : هي تَوسُّطُ الجَمْعِ ، وما يَتبعُه مِن إثارةِ النَّقْعِ ؛ فهُنَّ عادِياتٌ مُورياتٌ مُغِيراتٌ ، حتَّى يَتوسَّطنَ الجَمْعَ ، ويُثِرْنَ النَّقعَ ، فالأوَّلُ شأنُهنَّ الَّذي أُعدِدْنَ لَهُ ، والثَّاني فِعْلُهُنَّ الَّذي انتَهَينَ إليهِ ، واللهُ أعلمُ » اهـ

❀ ❀ ❀

## ما أَلطفَ اقتِرانَ اسمِ ( الوَدُودِ ) بـ( الرَّحيمِ ) وبـ( الغَفورِ ) !

قـالَ الإمـامُ ابنُ القيِّم رحـمهُ اللهُ تعـالَى : « وما أَلطفَ اقتِرانَ اسمِ ( الوَدُود ) بـ( الرَّحيم ) ، وبـ( الغَفور ) ؛ فإنَّ الرَّجُـلَ قد يَغفرُ لِـمَنْ أسـاءَ إليه ، ولا يُحبُّه ، وكذلك : قد يَرحَم مَن لا يُحِبُّ ، والرَّبُّ تعالَى يَغفِرُ لعَبدِهِ إذا تابَ إلَيه ، ويَرحمُه ويحبُّه مع ذلكَ ؛ فإنَّه يُحبُّ التوَّابينَ ، وإذا تابَ إلَيه عبدُهُ ؛ أحبَّهُ ، ولو كانَ مِنه ما كانَ » اهـ

## أحسنُ ما قُرِنَ اسمُ ( المَجِيدِ ) إلى ( الحَمِيدِ )

قالَ الإمـامُ ابنُ القيِّم رحـمهُ اللهُ تعالَى : « وأَحسنُ ما قُرِنَ اسمُ ( الْـمَجِيدِ ) إلى ( الحَمِيدِ ) ؛ كما قالَت الملائكةُ لبَيتِ الخليلِ علَيه السَّلامُ : ﴿ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ ، وكما شُرِعَ لنا في آخرِ الصَّلاة أن نُّثْنِيَ على الرَّبِّ تعالَى بأنَّه حَميدٌ مَجيدٌ ، وشُرِعَ في آخرِ الرَّكعةِ عندَ الاعتِدالِ أن نقولَ بعدَ « ربَّنا ولكَ الحمدُ » : « أهلَ الثَّناءِ والمَجدِ » .

فالحَمدُ والمَجدُ على الإطلاقِ لله الحَميدِ المَجيدِ ؛ فالحَميدُ : الحبيبُ ، المُستحقُّ لجميعِ صفاتِ الكمالِ ، والمَجيدُ : العظيمُ ، الواسعُ ، القادرُ ، الغنيُّ ، ذو الجَلالِ والإكرامِ » اهـ

❀ ❀ ❀

## سُورةُ البُروجِ كِتابٌ مُّستقِلٌّ في أُصولِ الدِّين

قالَ الإمـامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « وقد اشتَملَت هذه السُّورةُ – على اختِصارِها – مِنَ التَّوحيدِ على :

- وَصفِه سُبحانَه بالعزَّةِ ؛ المُتضمِّنة للقُدرةِ ، والقُوَّة ، وعَدمِ النَّظيرِ .
- والحَمدِ ؛ المُتضمِّنِ لصفاتِ الكَمالِ ، والتَّنزيهِ عن أضدادِها ، مع محبَّتِه ، وإلهيَّتِه .
- ومُلكِه السَّماواتِ والأرضِ ؛ المُتضمِّنِ لكَمالِ غِناهُ ، وسِعةِ مُلكِه .
- وشَهادَتِه على كلِّ شَيءٍ ؛ المُتضمِّنِ لعُمومِ اطِّلاعِه على ظَواهرِ الأمورِ ، وبَواطِنِها ، وإحاطةِ بَصَرِه بمَرئيَّاتِها ، وسَمعِه بمَسموعاتِها ، وعِلمِه بمَعلوماتِها .
- ووَصفِه بشِدَّةِ البَطْشِ ؛ المُتضمِّنِ لكَمالِ القُوَّةِ ، والعِزَّةِ ، والقُدرةِ .
- وتَفرُّدِه بالإبداءِ والإعادةِ ؛ المُتضمِّنِ لتَوحيدِ رُبوبيَّتِه ، وتَصرُّفِه في المخلوقاتِ بالإبداءِ والإعادَةِ ، وانقيادِها لقُدرتِه ؛ فلا يَستَعصي عليهِ مِنها شَيءٌ .
- ووَصفِه بالمغفرةِ ؛ المُتضمِّنِ لكَمالِ جُودِه ، وإحسانِه ، وغِناهُ ، ورَحمتِه .
- ووَصفِه بالوَدودِ ؛ المُتضمِّنِ لكَونِه حَبيبًا إلى عِبادِه ، مُحبًّا لهم .
- ووَصفِه بأنَّه ذو العَرشِ ؛ الَّذي لا يَقدِرُ قَدرَه سِواهُ ، وأنَّ عَرشَه المُختصَّ به لا يَليقُ بغَيرِه أن يستويَ علَيه .
- ووَصفِه بالمَجدِ ؛ المُتضمِّنِ لسِعةِ العلمِ ، والقُدرةِ ، والمُلْكِ ، والغِنَى ، والجُودِ ، والإحسانِ ، والكَرمِ .
- وكونِه فعَّالًا لِمَا يُريدُ ؛ المُتضمِّنِ لحياتِه ، وعِلمِه ، وقُدرتِه ، ومَشيئتِه ، وحِكمتِه ، وغيرِ ذلكَ مِن أوصافِ كَمالِهِ .

فهذه السُّورةُ كتابٌ مُستقلٌّ في أُصول الدِّين ، تَكفي مَن فَهِمَها » اهـ

❀ ❀ ❀

## البَلاغةُ في وَصفِ العِيشةِ بالرَّاضيَةِ

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « وأمَّا ( العِيشةُ الرَّاضِيةُ ) ؛ فالوَصفُ بها أَحسنُ مِنَ الوَصْفِ بـ ( المَرْضِيَّة ) ؛ فإنَّها اللاَّئقةُ بهم ؛ فشَبَّهَ ذلك بِرِضَاها بِهِم كما رَضُوا بها ، كأنَّها رَضِيَتْ بِهِمْ ورَضُوا بِهَا ، وهذا أَبلغُ مِن مجرَّدِ كونِها مَرْضيَّةً فَقَط ؛ فتأمَّلْهُ » اهـ

❀ ❀ ❀

## التَّعبيرُ عن الأعمالِ بالسِّرّ في قولِه تعالَى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ﴾

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « وفي التَّعبيرِ عن الأعمالِ بالسِّرِّ لطيفةٌ ؛ وهو أنَّ الأعمالَ نَتائجُ السَّرائرِ الباطنةِ ؛ فمَن كانت سَريرتُه صالحةً ؛ كانَ عَملُه صالحًا ؛ فتَبدو سريرتُه على وَجهِهِ نورًا وإشراقًا وحياءً ، ومَن كانت سَريرتُه فاسدةً ؛

كانَ عملُه تابعًا لسَريرتِه ، لا اعتبارَ بصُورتِه ، فتَبدو سريرتُه على وَجهِه سَوادًا وظُلمةً وشَينًا ، وإن كان الَّذي يَبدو علَيه في الدُّنيا إنَّما هو عَمَلُه لا سَريرتُه ، فيَومَ القيامةِ تَبدو علَيه سريرتُه ، ويكونُ الحكمُ والظُّهورُ لها » اهـ

❋ ❋ ❋

## مِنْ طريقةِ القُرآنِ في القَسَمِ : الإقسامُ مِن كُلِّ جِنسٍ بأعلاهُ

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « ... وإنَّما يُقْسِمُ سُبحانَه مِن كُلِّ جِنسٍ بأعلاهُ ، كما أنَّه :

- لَمَّا أقسمَ بالنُّفوسِ : أَقسمَ بأعلاها ؛ وهي : النَّفسُ الإنسانيَّةُ .
- ولَمَّا أقسَمَ بكَلامِه : أَقسمَ بأشرفِه وأَجلِّه ؛ وهو : القُرآنُ .
- ولَمَّا أقسمَ بالعُلْويَّاتِ : أقسمَ بأَشرفِها ؛ وهي : السَّماءُ ، وشَمسُها ، وقَمرُها ، ونُجومُها .
- ولَمَّا أقسمَ بالزَّمانِ : أقسمَ بأَشرفِه ؛ وهو : اللَّيالي العَشْرُ .

وإذا أرادَ سُبحانَه أن يُقسِمَ بغيرِ ذلكَ ؛ أدرجَهُ في العُمومِ ؛ كقولِه : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ❋ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ » اهـ

## البَلاغةُ في حَذفِ مَفعولِ ( النَّزعِ ) و( النَّشطِ )
## في قَولِه تعالَى : ﴿ وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا * والنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾

قالَ الإمـامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « وحَذَفَ مَفعولَ ( النَّزعِ ) و( النَّشطِ ) ؛ لأنَّه لو ذَكَرَ ما تَنزعُ وتَنشطُ ؛ لأَوهمَ التَّقييدَ بهِ ، وأنَّ القَسَمَ علَى نَفْسِ الأفعالِ الصَّادرةِ مِن هؤلاءِ الفاعلِينَ ؛ فلم يَتعلَّقِ الغرضُ بذكرِ المفعولِ ؛ كقولِه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ ونظائرِه ، فكان نَفْسُ النَّزْعِ هو المقصودُ ، لا عَيْن المنزوعِ » اهـ

❋ ❋ ❋

## لِـمَ ذَكَرَ ( السَّابقاتِ ) و( المُدبِّراتِ ) بالفاءِ ، وما قَبلَها بالواوِ ؟

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « قالَ الجُرْجانيُّ : « وذَكَرَ السَّابقاتِ والمُدبِّراتِ بالفاءِ ، وما قبلَها بالواوِ ؛ لأنَّ ما قبلَها أقسامٌ مُستأنَفةٌ ، وهذانِ القَسَمانِ مُنشَآنِ عن الَّذي قَبلَهما ؛ كأنَّه قال : فاللاَّتي سَبَحْنَ فسَبَقْنَ ؛ كما تَقولُ : قامَ فَذَهَبَ ؛ أَوجبَ الفاءَ أنَّ القيامَ كانَ سببًا للذَّهابِ ، ولو قُلتَ : قامَ وذَهبَ ؛ لَمْ تجعلِ القيامَ سَببًا للذَّهابِ » اهـ

واعترَضَ عليه الواحديُّ ؛ فقالَ : « هذا غيرُ مُطَّردٍ في هذه الآيةِ ؛ لأنَّه يَبعُدُ أن يَجعلَ السَّبْقَ سَببًا للتَّدبيرِ ، مع أنَّ السَّابقاتِ ليسَت الملائكةَ في قولِ المُفسِّرينَ » اهـ

قلتُ : الملائكةُ داخِلونَ في السَّابقاتِ قَطْعًا ، وأمَّا اختِصاصُ السَّابقاتِ بالملائكةِ فهذا مُحتمَلٌ .

وأمَّا قولُه : « يَبعُدُ أن يكونَ السَّبقُ سببًا للتَّدبيرِ » ؛ فليس كما زَعَمَ ؛ بل السَّبقُ : المُبادرةُ إلى تنفيذِ ما يُؤمَر به المَلَكُ ؛ فهو سَببُ الفِعل الَّذي أُمِرَ به ؛ وهو التَّدبيرُ ، مع أنَّ الفاءَ دالَّة على التَّعقيبِ ، وأنَّ التَّدبيرَ يَتعقَّبُ السَّبقَ بلا تَراخٍ ، بخلافِ الأقسامِ الثَّلاثةِ ، واللهُ أعلَمُ » اهـ

❃ ❃ ❃

## وُجوه لُطْفِ الخطابِ ولِينِهِ في قولِه تعالَى :

## ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « ثُمَّ أمرَه أَن يُخاطبَه بألينِ خطابٍ ؛ فيقولَ لَه : ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ ، ففي هذا مِن لُطفِ الخطابِ ولِينِه وُجوهٌ :

* **أَحدُها** : إخراجُ الكلامِ مُخْرَجَ العَرْضِ ، ولم يُخرِجْه مُخْرَجَ الأمرِ والإلزامِ ، وهو أَلطفُ . ونَظيرُه قولُ إبراهيمَ علَيهِ السَّلامُ لضَيفِه المُكرَمينَ : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ، ولَـمْ يَقُل : كُلُوا .

* **الثَّاني** : قولُه : ﴿ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ ، والتَّزكِّي : النَّماءُ ، والطَّهارةُ ، والبَرَكةُ ، والزِّيادةُ ؛ فعَرضَ عليه أمرًا يَقبلُه كلُّ عاقلٍ ، ولا يَردُّه إلَّا كلُّ أحمقَ جاهلٍ .

* **الثَّالثُ** : قولُه : ﴿ تَزَكَّىٰ ﴾ ، ولَمْ يَقُلْ : « أُزَكِّيكَ » ؛ فأضافَ التَّزكيةَ إلى نفسِهِ ، وعلَى هذا يُخاطَبُ المُلوكُ .

* **الرَّابعُ** : قولُه : ﴿ وَأَهْدِيَكَ ﴾ ؛ أي : أكونَ دليلاً لكَ ، وهادِيًا بين يَديكَ ؛ فنَسبَ الهِدايةَ إلَيه ، والتَّزكِّي إلى المُخاطَبِ ؛ أي : أكونَ دليلاً لك ، وهادِيًا ؛ فتَزكَّى أنتَ ؛ كما تقولُ للرَّجلِ : هل لَّكَ أن أَدُلَّكَ علَى كَنزٍ تأخذُ مِنه ما شئتَ ؟ وهذا أحسنُ مِن قولِهِ : « أُعطِيكَ » .

* **الخامسُ** : قولُه : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ فإنَّ في هذا ما يُوجِبُ قَبولَ ما دلَّ علَيه ؛ وهو أنَّه يَدعوهُ ويُوصِلُه إلى ربِّه ؛ فاطرِه ، وخالقِه الَّذي أَوجَده ، وربَّاه بنِعَمِهِ جَنينًا وصَغيرًا وكَبيرًا ، وآتاه الـمُلْكَ . وهو نَوعٌ مِن خِطابِ الاستعطافِ ، والإلزامِ ؛ كما

تقولُ لِـمَنْ خَرجَ عَن طاعـةِ سيِّـدِه : أَلَا تُطيعُ سيِّـدَكَ ، وَمولاكَ ، ومالكَكَ ؟ وتَقولُ للوَلدِ : ألا تُطيع أباكَ الَّذي ربَّاكَ ؟

* السَّادسُ : قولُه : ﴿ فَتَخْشَىٰ ﴾ ؛ أي : إذا اهتَديتَ إليه وعَرفتَه ؛ خَشِيتَهُ ؛ لأنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ خافَهُ ، ومن لَمْ يَعْرِفْهُ لَمْ يَخَفْهُ ؛ فخَشْيتُه مَقرونةٌ بمَعرفتِهِ ، وعلى قَدرِ المعرفةِ تكونُ الخَشيةُ .

* السَّابعُ : أنَّ في قولِه : ﴿ هَل لَّكَ ﴾ فائدةٌ لطيفةٌ ؛ وهي أنَّ المعنى : هل لكَ في ذلكَ حاجةٌ أو أَرَبٌ ؟ ومعلومٌ أنَّ كُلَّ عاقلٍ يُبادِرُ إلى قَبولِ ذلك ؛ لأنَّ الدَّاعيَ إنَّما يَدعُو إلى حاجتِهِ ومَصلَحتِه ، لا إلى حاجةِ الدَّاعي ؛ فكأنَّه يَقولُ : الحاجةُ لَكَ ، وأنتَ المُتزكِّي ، وأنَّا الدَّليلُ لكَ ، والمُرشدُ لكَ إلى أعظمِ مَصالحِكَ » اهـ




شذرات من كتاب : التبيان في
أقسام القرآن
لابن قيم الجوزية (٢)


عائشة

# شذرات من كتاب : التبيان في

# أقسام القرآن

## لابن قيم الجوزية (٢)

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى رسولِ الله ، أمَّا بعدُ : فهذه شَذَراتٌ التقطتُها مِن كتابِ ( التِّبيان في أقسامِ القُرآن ) ، للإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمه الله تعالَى ، وأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن ينفعَ بها .

❁ ❁ ❁

### قولٌ قويٌّ في تفسير قولِه تعالَى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ وما فيهِ من البلاغةِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « وفي الآيةِ قولٌ آخَرُ ؛ وهو أنَّ المعنى : بل يُريدُ الإنسان ليُكذِّب بِمَا أمامَه مِنَ البَعْثِ ويومِ القيامة .

وهذا قولُ ابن زيدٍ ، واختيارُ ابن قُتَيبةَ ، وأبي إسحاقَ . قالَ هؤلاء : ودليلُ ذلك قولُه : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

ويُرجِّحُ هذا القولَ :

١. لَفْظَةُ ﴿ بَلْ ﴾ ؛ فإنَّها تُعطي أنَّ الإنسانَ لَمْ يُؤمِن بيومِ القيامةِ مع هذا البيانِ والحجَّةِ ؛ بل هو مُريدٌ للتَّكذيبِ به .

٢. ويُرجِّحه – أيضًا – أنَّ السِّياقَ كُلَّه في ذمِّ المكذِّبِ بيومِ القيامةِ ، لا في ذمِّ العاصي والفاجِرِ .

٣. وأيضًا : فإنَّ ما قبلَ الآيةِ وما بعدَها : يدُلُّ علَى المُرادِ ؛ فإنَّه قالَ : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَـٰنُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ ؛ فأنكرَ سُبحانَه عليهِ حُسْبانَهُ أنَّ اللهَ لا يجمعُ عِظامَه ، ثمَّ قرَّر قُدرتَه على ذلك ، ثمَّ أنكرَ عليهِ إرادةَ التَّكذيبِ بيومِ القيامةِ ؛ فالأوَّلُ : حُسْبانٌ منه إلَّا يُحيِيَهُ بعد موتِه ، والثَّاني : تكذيبٌ منه بيومِ البَعث ، وأنَّه يُريدُ أن يُكذِّبَ بما وضحَ وبانَ دليلُ وُقوعِه وثبوتِه ؛ فهو مُريدٌ للتَّكذيبِ بهِ ، ثمَّ أخبرَ عن تصريحِه بالتَّكذيبِ ؛ فقالَ : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ ؛ فالأوَّلُ : إرادةُ التَّكذيبِ ، والثَّاني : نُطقٌ بالتَّكذيبِ ، وتكلُّمٌ به .

وهذا قولٌ قوِيٌّ – كما تَرَى – ؛ لكن : ينبغي إفراغُ هذه الألفاظِ في قوالبِ هذا المعنَى ؛ فإنَّ لفظة ﴿ يَفْجُرَ ﴾ إنَّما تدُلُّ علَى عَمَلِ الفُجورِ ، لا علَى التَّكذيبِ ، وحَذفُ

الـموصول مَعَ ما جَرَّهُ ، وإبقاءُ الصِّلةِ = خلافُ الأَصْلِ ؛ فإن أصحابَ هذا القولِ قالوا : تقديرُه : ليَكْفُرَ بِما أمامَهُ ، وهذا المعنَى صحيحٌ ؛ لكنَّ دلالةَ هذا اللَّفظِ عليه ليستْ بالبيِّنةِ .

فالجوابُ : أنَّ الأمرَ كذلك ؛ لكنَّ الفِعْلَ إذا ضُمِّنَ معنَى فِعلٍ آخَرَ ؛ لَمْ يَلْزَمْ إعطاؤُه حُكْمَهُ مِن جميعِ الوجوهِ ؛ بل مِن جَلالةِ هذه اللُّغةِ العظيمةِ الشَّأْنِ وجزالتِها : أن يَذكُرَ المتكلِّمُ فِعلاً ، ويُضمِّنَه معنَى فِعلٍ آخَرَ ، ويُجرِيَ على المُضمَّنِ أحكامَهُ لفظًا ، وأحكامَ الفِعْلِ الآخَرِ معنًى ؛ فيكونُ في قوَّة ذكرِ الفِعلَينِ ، مع غايةِ الاختصارِ . ومَن تدبَّر هذا ؛ وَجَدَهُ كثيرًا في كلامِ الله .

فلَفْظةُ ﴿ يَفْجُرَ ﴾ اقتضَتْ ﴿ أَمَامَهُۥ ﴾ بلا واسطةِ حَرْفٍ ، ولا اسمٍ موصولٍ ؛ فأُعطيَتْ ما اقتضَتْهُ لفظًا ، واقتضَى ما تضمَّنه الفِعْلُ من ذِكْرِ الحَرفِ والمَوْصولِ ؛ فأُعْطِيَتْهُ معنًى .

فهذا وَجْهُ هذا القولِ لفظًا ومعنًى ، واللهُ أعلمُ » اهـ



## ما أجمعَ سورةَ القيامةِ لمعاني الجَمْعِ والضَّمِّ !

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ثمَّ أخبرَ سُبحانَه عن حالِ هذا الإنسانِ إذا شاهَد اليومَ الَّذي كذَّبَ بهِ ؛ فقال : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْـمَفَرُّ ﴾ . فيبرقُ بَصَرُه ؛ أي : يَشخَصُ لِمَا يُشاهدُه من العجائبِ الَّتي كان يُكذِّبُ بها .

﴿ وخَسَفَ القَمَرُ ﴾ : ذَهبَ ضوؤُه ، وانمَحى .

﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ : ولَمْ يجتمعا قبلَ ذلك ؛ بل يجمعُهما الَّذي يجمعُ عظامَ الإنسان بعدما فرَّقها البِلَى ومزَّقها .

ويجمعُ للإنسانِ يومئذٍ جميعَ عَمَلِهِ الَّذي قدَّمه وأخَّرَه – مِنْ خيرٍ أو شَرٍّ – ، ويجمعُ ذلكَ مَن جَمَعَ القرآنَ في صَدْرِ رسولِهِ ، ويجمعُ المؤمنينَ في دارِ الكرامةِ ؛ فيُكْرِمُ وجوهَهم بالنَّظَرِ إليه ، ويجمعُ المكذِّبينَ في دارِ الهوانِ ، وهو قادرٌ على ذلك كُلِّه ، كما جَمَعَ خَلْقَ الإنسانِ مِن نُّطفةٍ مِن منيٍّ يُمنَى ، ثمَّ جَعَله عَلَقةً مُجتمعةَ الأجزاءِ ، بعدما كانت نُطفةً مُتفرِّقةً في جميعِ بَدَنِ الإنسانِ ، وكما يَجمَعُ بينَ الإنسانِ ومَلَكِ الموتِ ، ويجمعُ بين السَّاق والسَّاقِ – إمَّا ساق الميِّت ، أو ساق مَن يجهِّز بدنَه من البشرِ ، ومن يُجهِّز

روحَهُ مِنَ الملائكةِ - ، أو يجمعُ عليه شدائدَ الدُّنيا والآخرةِ ؛ فكيف أنكرَ هذا الإنسانُ أن يـجمعَ بينَه وبين عَمَلِه وجزائِه ، وأن يُجمعَ مع بني جِنسه ليوم الجمعِ ، وأن يجمعَ عليه بين أمرِ الله ونهيِه وعبوديَّته ؛ فلا يُتركُ سدًى مُّهمَلاً مُّعطَّلاً ، لا يُؤمَرُ ولا يُنهى ، ولا يُثابُ ولا يعاقَبُ ؛ فلا يُجمعُ عليه ذلك ؟!

فمـا أجمعَ هذه السُّورةَ لمعاني الجَمْعِ والضَّمِّ ! » اهـ

❋ ❋ ❋

## الجمعُ بينَ الظَّاهرِ والباطِنِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ومِنْ أسرارِ هذه السُّورةِ [ سورةِ القيامةِ ] : أنَّه سبحانه جَمَعَ فيها لأوليائِه بينَ جمالِ الظَّاهرِ والباطنِ ؛ فزيَّنَ وُجوهَهم بالنَّضرةِ ، وبَواطنَهم بالنَّظَرِ إليه ؛ فلا أجملَ لبَواطنِهم ولا أنعمَ ولا أحلَى مِنَ النَّـظرِ إليه ، ولا أجملَ لظَواهرِهم مِن نَّضرةِ الوجهِ ؛ وهي إشراقُه ، وتحسينُه ، وبهجتُه . وهذا كما قالَ في موضعٍ آخرَ : ﴿ ولقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وسُرورًا ﴾ .

ونظيرُه قولُه : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْـنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ ؛

فهذا جمالُ الظَّاهرِ وزينتُه ، ثُمَّ قالَ : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ؛ فهذا جمالُ الباطنِ .

ونظيرُه قولُه : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ ؛ فهذا جمالُ ظاهرِها ، ثمَّ قالَ : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ ؛ فهذا جمالُ باطنِها .

ونظيرُه قولُه عن امرأةِ العَزيزِ بعدَ أن قالَت ليوسفَ عليهِ السَّلامُ : ﴿ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّـهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُـمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ؛ فذِكرُها لهذا هو مِن تمامِ وَصْفِها لَمحاسنِه ، وأنَّه في غاية المحاسنِ ظاهرًا وباطنًا .

ويُنظر إلى هذا المعنى ويُناسبُه قولُه : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ ؛ فقابَلَ بين الجوعِ والعُرْيِ ؛ لأنَّ الجوعَ ذُلُّ الباطنِ ، والعُرْيَ ذلُّ الظَّاهرِ ، وقابَلَ بين الظَّمإِ ؛ وهو حَرُّ الباطنِ ، والضُّحِيِّ ؛ وهو حَرُّ الظَّاهرِ بالبُروزِ للشَّمسِ .

وقريبٌ من هذا قولُه : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ في ذكرِ الزَّادِ الظَّاهرِ الحسِّيِّ ، والزَّادِ الباطنِ المعنويِّ ؛ فهذا زادُ سَفَرِ الدُّنيا ، وهذا زادُ سَفَرِ الآخرةِ .

ويُلِمُّ به قولُ هودٍ عليهِ السَّلامُ : ﴿ وَيَـٰقَوْمِ اسْتَغْـفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُـوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ

السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ ؛ فالأوَّلُ : القُوَّةُ الظَّاهرةُ المنفصلةُ عنهُم ، والثَّاني : الباطنةُ المتَّصلةُ بهم .

ويُشبِهُهُ قولُه : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ ولا نَاصِرٍ ﴾ ؛ فنفَى عنهم الدَّافِعَيْنِ : الدَّافعَ مِن أنفُسهِم ، والدَّافِعَ مِنْ خارجٍ ؛ وهو النَّاصرُ » اهـ

وقالَ رحمهُ اللهُ تعالى في موضعٍ آخَر : « ثمَّ قالَ تعالَى : ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ ؛ فوصفَهم بِذُلِّ الظَّاهرِ ؛ وهو خُشوعُ الأبصارِ ، وذُلِّ الباطنِ ؛ وهو ما يَرهَقُهم مِّن الذُّلِّ ، خَشعَت عنه أَبصارُهم .

وقَريبٌ مِّن هذا قولُه : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ ، ونَظيرُه قولُه : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَـهُم مِّنَ اللَّـهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ الَّيلِ مُظْلِمًـا ﴾ .

وضدُّ هذا قولُه تعالَى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ ؛ فنفى عنه الجُوعَ ؛ الَّذي هو ذُلُّ الباطنِ ، والعُرْيَ ؛ الَّذي هو ذُلُّ الظَّاهرِ .

وضِـدُّه – أيضًا – قولُه : ﴿ ولقَّـٰهُمْ نَضْرَةً وسُرورًا ﴾ ؛ فالنَّضرة : عِزُّ الظَّـاهرِ وجَمالُه ، والسُّرورُ : عِزُّ الباطنِ وجَمالُه .

ومِثلُه – أيضًا – قولُه : ﴿ عَـٰلِيَهُم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ ؛ فجمعَ لهُم بينَ زينةِ الظَّاهرِ والباطنِ .

ومِثلُه قولُه : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ولِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ؛ فجمعَ لهم بينَ زينةِ الظَّاهرِ والباطنِ .

ومِثلُه قولُه : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ ؛ فزيَّن ظاهرَها بالنُّجومِ ، وباطنَها بالحفظِ مِن كُلِّ شيطان رَّجيمٍ .

ومِثلُه قولُه – أيضًا – : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ ﴾ .

وقَريبٌ منه قولُه : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ .

ومِنه قولُه : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللَّـهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ ؛ فجمعَ لهؤلاءِ بينَ جمالِ الظَّاهرِ والباطنِ ، ولأولئكَ بين تسويدِ الظَّاهرِ والباطنِ .

ومِنه قولُ امرأةِ العزيزِ : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُـمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَ ٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَـمَ ﴾ ؛ فوَصَفَتْ ظاهرَه بالجمـالِ ، وباطنَه بالعِفَّـةِ ؛ فوصَفتْه بجمـالِ الظَّاهرِ

والباطنِ ؛ فكأنَّها قالَتْ : هذا ظاهرُه ، وباطنُه أحسنُ مِن ظاهرِه .

وهذا كُلُّه يَدُلُّكَ علَى ارتباطِ الظَّاهرِ بالباطنِ قَدَرًا وشَرْعًا ، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ » اهـ

❀ ❀ ❀

## ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ومِن أسرارِها [ سورة القيامة ] أنَّها تضمَّنت التَّأني والتثبُّتَ في تلقِّي العلمِ ، وأن لا يحملَ السَّامعَ شدَّةُ محبَّته وحِرصُه وطَلَبُه على مُبادَرةِ المعلِّمِ بالأخذِ قبلَ فَراغِه مِن كلامِه ؛ بل مِنْ آدابِ الرَّبِّ الَّتي أدَّب بها نبيَّه ﷺ : أَمرُه بتَرْكِ الاستعجالِ على تلقِّي الوَحْي ؛ بل يَصبرُ إلى أن يَفرغَ جِبريلُ عليهِ السَّلامُ مِن قراءتِه ، ثمَّ يقرأُه بعد فَراغِه عليه . فهكذا ينبغي لطالبِ العلمِ ولسامعِه : أن يَصبرَ على مُعلِّمِه حتَّى يقضيَ كلامَه ، ثمَّ يعيدَه عليه ، أو يسألَ عمَّا أشكلَ عليه مِنه ، ولا يُبادرَه قبلَ فَراغِه .

وقد ذكرَ اللهُ هذا المعنَى في ثلاثةِ مواضِعَ مِن كتابِه :

- هذا أحدُها .

- والثَّاني قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَـٰلَى اللَّهُ الْـمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ .
- والثَّالثُ قولُه : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ * إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ﴾ .

فضَمِنَ لرسولِه ﷺ أن لا يَنسى ما أقرأه إيَّاه ، وهذا يَتناولُ القراءةَ وما بعدَها » اهـ



## ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ﴾

قالَ ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « وقد ذمَّ اللهُ سُبحانَه في هذه السُّورةِ مَن يُؤثرُ العاجلةَ على الآجلةِ – وهذا لِاستعجالِه بالتَّمتُّعِ بما يَفنَى ، وإيثارِه علَى ما يبقَى – ، ورتَّبَ كلَّ ذمٍّ ووعيدٍ – في هذه السُّورةِ – علَى هذا الاستعجالِ ، ومحبَّةِ العاجلةِ :

- فإرادتُه أن يَفجُرَ أمامَه : هو مِن استعجالِه ، وحُبِّ العاجلةِ .
- وتكذيبُه بيومِ القيامةِ : مِن فَرطِ حبِّ العاجلةِ وإيثارِه لـها ، واستعجالِه بنَصيبِه ، وتمتُّعِه به قبلَ أوانِه ، ولولا حُبُّ العاجلةِ ، وطلبُ الاستعجالِ ؛ لتمتَّعَ به في الآجلةِ أكملَ ما يكونُ .

- وكذلك : تكذيبُه ، وتولِّيه ، وتركُ الصَّلاةِ : هو مِن استعجالِه ، ومحبَّتِه العاجلةَ .

والرَّبُّ سُبحانَه وصفَ نَفسَه بضِدِّ ذلك ؛ فلم يَعْجَل علَى عبدِه ؛ بل أمهلَهُ إلى أن بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّراقيَ ، وأيقنَ بالموتِ ، وهو إلى هذه الحالِ مُستمرٌّ على التَّكذيبِ والتولِّي ، والرَّبُّ تعالَى لا يُعاجِلُهُ ؛ بل يُمْهِلُهُ ، ويُحدِثُ له الذِّكْرَ شيئًا بعد شَيْءٍ ، ويُصرِّف له الآياتِ ، ويَضربُ له الأمثالَ ، ويُنبِّهُه على مَبدئهِ ؛ مِن كونِه نُطفةً مِن مَنيٍّ يُمنَى ، ثم عَلقةً ، ثمَّ خَلْقًا سَوِيًّا ؛ فلم يَعجَلْ عليه بالخلقِ وَهلةً واحدةً ، ولا بالعقوبةِ إذ كذَّب خبَرَهُ ، وعصَى أَمْرَهُ ؛ بل كان خَلْقُهُ وأَمْرُهُ وجزاؤه بعدَ تمهيلٍ وتدريجٍ وأناةٍ ؛ ولهذا ذمَّ الإنسانَ بالعَجَلةِ بقولِه سُبحانَه : ﴿وَكَانَ الْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ ، وقالَ : ﴿خُلِقَ الْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ » اهـ

❀ ❀ ❀

## الفَرْقُ بين ( رَبْطِ الشَّيءِ ) و( الرَّبطِ عَلَيْهِ )

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ومعنَى الرَّبط - في اللُّغةِ - : الشَّـدُّ ؛ ولهذا يُقالُ لكُلِّ مَن صَبَرَ عَلَى أَمْرٍ : رَبَطَ قَلْبَهُ ؛ كأنَّه حَبَسَ قَلْبَهُ عَنِ الاضطرابِ ، ومِنْه يُقالُ : هُوَ رابِطُ الجَأْشِ .

وقد ظنَّ الواحِديُّ أنَّ ( علَى ) زائدةٌ ، والمعنَى : يربط قلوبَكم . ولَيْسَ كما ظَنَّ ؛ بل بـينَ رَبْطِ الشَّيءِ والرَّبْـطِ علـيهِ فرقٌ ظاهرٌ ؛ فإنَّه يُقـالُ : رَبَـطَ الفَرَسَ والدَّابَّـةَ ، ولا يُقالُ : رَبَطَ عَلَيْهَا . فإذا أحاطَ الرَّبْطُ بالشَّيءِ وعَمَّهُ ؛ قيلَ : رَبَطَ عَلَيْهِ ؛ كأنَّه أحاطَ عليه بالرَّبْطِ ؛ فلهذا قيلَ : رَبَطَ عَلَى قَلْبِهِ ، وكانَ أحسنَ مِن أن يُّقالَ : رَبَطَ قَلْبَهُ » اهـ

❋ ❋ ❋

## خاتمةُ سورةِ الحاقَّةِ ومُناسبتُها لما قَبلَها

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ثمَّ خَتَمَ السُّورةَ بقولِه : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهي جديرةٌ بهذه الخاتمةِ ؛ لِـمَا تضمَّنَتْهُ مِنَ الإخبارِ عن عَظَمَةِ الرَّبِّ وجلالِه ، وذِكْرِ عَظَمَةِ مُلْكِهِ ، وجَرَيان حُكْمِه بالعَدْلِ علَى عبادِه في الدُّنيا والآخرة ، وذِكْرِ عَظَمتِهِ في إرسالِ رسولِه ، وإنزال كتابِه ، وأنَّه أعظمُ وأجلُّ وأكبرُ – عند أهل سَمـاواتِه والمؤمنينَ مِن عبادِه – مِنْ أن يُّقِرَّ كذَّابًا متقـوِّلاً عليه ، مفتريًا عليه ، يُبدِّلُ دينَه ، ويَنسَخُ شرائـعَه ، ويَقتلُ عبادَه ، ويخبرُ عنه بمـا لا حقيقةَ له ، وهو سُبحـانه مع ذلك يُؤيِّده ، وينصرُه ، ويجيبُ دعواتِه ، ويأخذ أعداءَه ، ويرفعُ قَدْرَه ، ويُعلي ذِكْرَه ؛ فهو سُبحانه العظيمُ ؛ الَّذي تأبَى عَظمتُه أن يفعلَ ذلك بمَنْ أَتَى بأقبحِ أنواع الكَذِبِ ،

والظُّلم . فسُبحانَ ربِّنا العظيمِ ، وتعالَى عما ينسبُه إليهِ الجاهلونَ عُلُوًّا كبيرًا » اهـ

❋ ❋ ❋

## ذِكرُ ( المشرِقِ والمغرِبِ ) بلفظِ الإفرادِ والتَّثنيةِ والجَمْعِ ، ومُناسبةِ كُلٍّ لموضعِه

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ومِن ذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْـمَشَـٰرِقِ وَالْـمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرونَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ، أَقسمَ سُبحانَه برَبِّ الـمَشارِق والـمَغاربِ ؛ وهي إمَّا مَشارِقُ النُّجومِ ومَغاربُها ، أو مَشارقُ الشَّمسِ ومَغاربُها ، أو أنَّ كلَّ مَوضعٍ مِن الجهةِ مَشرِقٌ ومَغرِبٌ .

فكذلك جَمَعَ في مَوضعٍ ، وأفردَ في مَوضعٍ ، وثنَّى في مَوضعٍ آخرَ ؛ فقالَ : ﴿ رَبُّ الْـمَشْرِقَيْنِ ورَبُّ الْـمَغْرِبَيْنِ ﴾ ، فقيلَ : هُما مَشرِقا الصَّيفِ والشِّتاءِ .

وجاءَ في كلِّ مَوضعٍ ما يُناسبُه ؛ فجاءَ في سُورةِ الرَّحمٰنِ : ﴿ رَبُّ الْـمَشْرِقَيْنِ ورَبُّ الْـمَغْرِبَيْنِ ﴾ ؛ لأنَّها سورة ذُكِرَتْ فيها الْمُزدوجاتُ ؛ فذُكِرَ فيها الخَلْقُ والتَّعليمُ ، والشَّمسُ والقَمرُ ، والنُّجومُ والشَّجرُ ، والسَّماءُ والأرضُ ، والحَبُّ والثَّمرُ ، والجِنُّ والإنسُ ، ومادَّةُ أبي البَشرِ وأبي الجنِّ ، والبَحْرَانِ ، والجَنَّةُ والنَّارُ ، وقَسَّمَ الجَنَّةَ إلى جنَّتَينِ عاليتَينِ ، وجنَّتَينِ دونَهما ، وأخبرَ أنَّ في كلِّ جنَّةٍ عينَينِ ؛ فناسبَ كلَّ المناسبةِ أن يَذكُرَ

المشرِقَيْن والمغرِبَيْن .

وأمَّا سورةُ ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾ ؛ فإنَّه أَقسمَ سُبحانَه علَى عُمومِ قُدرتِه وكَمالِها ، وصِحَّة تَعلُّقِها بإعادتِهم بعدَ العَدمِ ؛ فذَكرَ المشارِقَ والـمغارِبَ بلَفظِ الجمعِ ؛ إذ هو أدلُّ علَى المُقسَمِ علَيه ، سواءٌ أُريدَ مَشارِقُ النُّجومِ ومغارِبُها ، أو مَشارِقُ الشَّمسِ ومَغارِبُها ، أو كلُّ جُزءٍ مِن جِهتَي المَشرقِ والمَغربِ ؛ فكلُّ ذلك آيةٌ ودلالةٌ على قُدرتِه علَى أن يُبدِّلَ أمثالَ هؤلاءِ المكذِّبينَ ، ويُنشِئَهم فيمـا لا يَعلمونَ ؛ فيأتيَ بهم في نَشأةٍ أُخرى ؛ كما يأتي بالشَّمسِ كلَّ يومٍ مِن مَطلعٍ ، ويذهبُ بها في مَغربٍ .

وأمَّا في سورةِ المزَّمِّل ؛ فذكَرَ المشرِقَ والمغرِبَ بلَفظِ الإفرادِ ؛ لـمَّا كانَ المَقصودُ ذِكْرَ رُبوبيَّتِه ووَحدانيَّتِه ، وكمـا أنَّه تفرَّدَ برُبوبيَّةِ المشرِقِ والمَغربِ وحدَه ؛ فكذلك يجبُ أن يُفـرَدَ بالرُّبوبية والتَّوكُّل عليه وَحْدَه ؛ فليسَ للمَشرقِ والـمغربِ رَبٌّ سواهُ ؛ فكذلكَ ينبـغي إلَّا يُتَّـخَذَ إلـهٌ ولا وكيـلٌ سواهُ ؛ ولذلِكَ قـالَ موسى لِفرعونَ حـينَ سألَـه : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ ؛ فقالَ : ﴿ رَبُّ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَـآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وفي رُبوبيَّته سُبحانَه لِلمَشارقِ والمَغاربِ : تَنبيهٌ على رُبوبيَّتِه السَّماواتِ ، وما حَوَتْهُ مِن الشَّمسِ والقَمرِ والنُّجومِ ، ورُبوبيَّتِه ما بينَ الـجِهتَينِ ، ورُبوبيَّتِه اللَّيلَ والنَّهـارَ وما

تَضمَّناه » اهـ

❀ ❀ ❀

## ثَلاثةُ أمورٍ يَجِبُ مَعرفةُ ما بينَها مِن الجمْعِ والفَرْقِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « وقد وقعَ الإخبارُ عن قُدرتِه سُبحانَه على :

١. تَبديلِهم بخَيرٍ منهُم .

٢. وفي بَعضِها : تَبديلِ أمثالِهم .

٣. وفي بَعضِها : استِبدالِه قومًا غيرَهُم ثمَّ لا يَكونُوا أَمثالَهم .

فهذه ثلاثةُ أمورٍ يَجِبُ مَعرفةُ ما بينَها مِن الجَمْعِ والفَرْقِ :

- فحَيثُ وقعَ التَّبديلُ بخيرٍ مِّنهم ؛ فهو إخبارٌ عن قُدْرته علَى أن يَذهبَ بهم ، ويأتيَ بأطوعَ وأتقى له مِنهُم في الدُّنيا .

وكذلكَ قولُه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾ ؛ يعني : بلْ يكونوا خيرًا مِنكُم . قالَ مُجاهدٌ : يَستبدِلُ بهم مَن شاءَ مِنْ عبادِه ؛ فيجعلُهم خَيرًا مِن هؤلاءِ ؛ فلَمْ يتولَّوْا بِحَمدِ الله ؛ فلم يَستَبدِلْ بهم .

- وأمَّا ذِكْره تبديلَ أمثالِهم ؛ ففي سورةِ الواقعةِ وسورةِ الإنسانِ ؛ فقالَ في الواقعةِ : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ

فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقالَ في سورةِ الإنسانِ : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ . قالَ كثيرٌ من المفسِّرينَ : المعنى : أنَّا إذا أردْنا أن نَخلُقَ خلقًا غيرَكم ؛ لم يَسبِقْنا سابقٌ ، ولم يَفُتْنا ذلكَ ، وفي قولِه : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ : إذا شِئنا ؛ أَهلكنَاهم ، وأتَينا بأشباهِهِم ؛ فجعلناهُم بَدلًا منهُم . قالَ المَهْدَوِيُّ : قَومًا مُوافقِينَ لهم في الخَلْقِ ، مُخالِفِينَ لهم في العَمَلِ . ولَمْ يَذْكُرِ الواحديُّ ولا ابنُ الجَوزيِّ غيرَ هذا القولِ .

وعلَى هذا فتكونُ هذه الآياتُ نَظيرَ قولِه : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ ؛ فيكونُ استدلالُه بقُدْرتِهِ على إذهابِهم ، والإتيانِ بأمثالِهم = على إتيانِه بِهِم أنفُسِهم إذا ماتوا .

ثمَّ استدلَّ سُبحانَه بالنَّشأةِ الأُولى ؛ فذكَّرهُم بها ؛ فقالَ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ؛ فنبَّهَهُم بما عَلِموه وعايَنُوه على صِدقِ ما أَخْبَرَتْهُمْ به رُسلُه مِن النَّشأةِ الثَّانيةِ .

والَّذي عِندي في مَعنى هاتَينِ الآيتَينِ – وهُما آيةُ الواقعةِ والإنسانِ – : أنَّ المُرادَ بتَبديلِ أمثالِهم : الخلقُ الجديدُ ، والنَّشأةُ الآخرةُ الَّتي وُعِدوا بها .

وقد وُفِّقَ الزَّمخشريُّ لفَهْمِ هذا مِن سورةِ الإنسانِ ؛ فقالَ : وبدَّلنا أمثالَهم في شدَّةِ الأَسْرِ ؛ يعني : النَّشأة الأُخرَى . ثمَّ قالَ : وقيلَ : وبدَّلنا غيرَهم ممَّن يُطيعُ ، وحقُّه أن يأتِيَ بـ( إن ) لا بـ( إذا ) ؛ كقولِه : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ .

قلتُ : وإتيانُه بـ( إذا ) – الَّتي لا تكونُ إلَّا للمُحقَّقِ الوُقوعِ – يدلُّ على تَحقُّقِ وُقوعِ هذا التَّبديلِ ، وأنَّه واقِعٌ لا مَحالةَ ، وذلكَ هو النَّشأةُ الأُخرى الَّتي استَدلَّ على إمكانِها بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴾ ، واستَدلَّ بالمِثلِ على المثلِ ، وعلى ما أنكرُوه بما عايَنوه وشاهَدُوه .

وكونُهم أمثالَـهم : هو إنشاؤُهم خَلقًا جديدًا بعَينِهِ ؛ فهُمْ هُمْ بأعيانِهم ، وهُم أمثالُهم ؛ فهُمْ أنفُسُهم يُعَادُونَ .

فإذا قُلتَ : الـمُعادُ هذا هو الأوَّلُ بعَينِـه ؛ صَدَقْـتَ ، وإنْ قُلْتَ : هو مِثلُه ؛ صَدَقْتَ ؛ فهُوَ هُوَ مُعادٌ ، أو هُو مِثلُ الأوَّلِ .

وقد أوضحَ هذا سُبحانَه بقولِه : ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ فهذا الخلقُ الجديدُ هو المُتضَمِّنُ لكَونِهم أمثالَهم . وقد سمَّاه اللهُ سُبحانَه إعادةً ، والمعادُ مثلُ المَبدَأ ، وسمَّاهُ نشأةً أُخْرَى ؛ وهي مِثلُ الأُولى ، وسمَّـاه خَلْقًا جديدًا ؛ وهو مِثلُ الخلقِ الأوَّلِ ؛

كما قالَ : ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْـخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ وسمَّاهُ أمثالًا ؛ وهُم هُم ؛ فتَطابقَت ألفاظُ القُرآنِ ، وصَدَّقَ بَعضُها بَعضًا ، وبيَّن بَعضُها بَعضًا .

وبهذا تزولُ إشكالاتٌ أوردَها مَن لَّـمْ يَفْهَمِ المعادَ الَّذي أخبرَت به الرُّسلُ عن الله . ولا يُفْهَمُ مِن هذا القولِ ما قالَه بعضُ المتأخِّرينَ أنَّهم غيرُهم مِن كلِّ وَجْهٍ ؛ فهذا خطأٌ قَطعًا – معاذَ الله مِن اعتِقادِه – ؛ بل هم أمثالُهم ، وهم أعيانُهم . فإذا فُهِمَتِ الحقائقُ ؛ فلا يُناقِشُ في العبارةِ إلَّا ضَيِّقُ العَطَنِ ، صغيرُ العَقْلِ ، ضعيفُ العِلْمِ .

وتأمَّلْ قولَه تعالى في الواقعةِ : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُـمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥ أَمْ نَحْنُ الْـخَـٰلِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْـمَوْتَ ... ﴾ كيفَ ذكرَ مَبدأَ النَّشأةِ وآخِرَها ، مُسْتَدِلًّا بها علَى النَّشأةِ الثَّانيةِ بقولِه : ﴿ ... وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَـكُمْ فِيمَـا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فإنَّكم إنَّما علِمتُم النَّشأةَ الأُولى في بُطونِ أُمَّهاتِكم ، ومَبدأها ممَّا تُمنونَ ، ولن نُّغلَبَ على أن نُنشِئَكم نشأةً ثانيةً فيما لا تَعلمُونَ ؛ فإذا أنتم أمثالُ ما كُنتم في الدُّنيا – في صُوَرِكُم وهيئاتِكم – .

وهذا مِن كمالِ قُدرةِ الرَّبِّ ومَشيئتِه ، لو تَذكَّرتُم أحوالَ النَّشأةِ الأُولى ؛ لَدَلَّكم ذلكَ على قُدْرَةِ مُنشِئِها على النَّشأةِ الَّتي كذَّبتُم بها ؛ فأيُّ استدلالٍ وإرشادٍ أحسنُ مِن هذا ، وأقربُ إلى العَقلِ والفَهمِ ، وأبعدُ مِن كلِّ شُبهةٍ وشَكٍّ ! وليسَ بعدَ هذا البيانِ

والاستِدلالِ إلَّا الكُفرُ باللَّـهِ وما جـاءَت به الـرُّسلُ ، أو الإيمانُ .

وقالَ في سورة الإنسانِ : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ ؛ فهذه النَّشأةُ الأُولى ، ثمَّ قالَ : ﴿ وَإِذا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ ؛ فهذه النَّشأة الأُخْرَى . ونَظيرُ هذا : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ ، وهذا في القرآنِ كثيرًا جِدًّا ، يَقْرِنُ بين النَّشأتَينِ ، مُذَكِّرًا للفِطَرِ والعُقولِ بإحداهما على الأُخْرَى ، وبِالله التَّوفيقُ » اهـ

❋ ❋ ❋

## لا تُهْمِلِ الفِكْرَةَ في كُلِّ سورةٍ افتُتِحَتْ بالحروفِ المقطَّعةِ!

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « الصَّحيح أنَّ ( ن ) ، و( ق ) ، و( ص ) مِن حروف الهجاء الَّتي يفتتح بها الرَّبُّ سبحانه بعضَ السُّوَرِ ، وهي أُحاديَّةٌ ، وثنائيَّةٌ ، وثلاثيَّةٌ ، ورباعيَّةٌ ، وخماسيَّةٌ ، ولَمْ تُجاوِزِ الخمسةَ ، ولم تُذْكَرْ قَطُّ في أَوَّلِ سورةٍ إلَّا وعَقِبها يُذْكَرُ القرآنُ ، إمَّا مُقْسَمًا بِهِ ، وإمَّا مُخْبَرًا عنه – ما خلا سُورتَين : سورةَ ( كهيعص ) ، و( ن ) – ؛ كقولِه : ﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَـٰبُ ﴾ ، ﴿ الٓمٓ * اللهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَـٰبَ ﴾ ، ﴿ الٓمٓصٓ * كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، ﴿ الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ ﴾ ،

وهكذا إلى آخرِه .

ففي هذا تنبيهٌ علَى شَرَفِ هذه الحروفِ ، وعِظَمِ قَدْرِها ، وجَلالتِها ؛ إذ هي مَباني كلامِه وكُتبِه الَّتي تكلَّم سُبحانَه بها ، وأَنزلَها على رُسلِه ، وهَدَى بها عبادَه ، وعرَّفَهم بواسطتِها نَفسَه ، وأسماءَه ، وصفاتِه ، وأَفعالَه ، وأَمرَه ، ونهيَه ، ووَعيدَه ، ووَعْدَه ، وعرَّفهم بها الخيرَ ، والشَّرَّ ، والحسنَ ، والقبيحَ ، وأَقْدَرَهم على التَّكلُّمِ بها ؛ بحيثُ يَبلغونَ بها أقصى ما في أنفُسِهم ، بأسهلِ طريقٍ ، وقِلَّةِ كُلفةٍ ومَشقَّة ، وأوصلَه إلى المقصودِ ، وأدلَّه عليه ؛ وهذا مِنْ أعظمِ نِعَمِه عليهِم ، كما هو مِن أعظمِ آياتِه ؛ ولهذا عابَ سُبحانَه علَى من عَبَدَ إلـهًا لا يتكلَّم ، وامتنَّ علَى عبادِه بأن أقدَرَهم على البيانِ بها بالتَّكلُّمِ ؛ فكانَ في ذكرِ هذه الحروفِ : التَّنبيهُ على كمالِ رُبوبيَّته ، وكمالِ إحسانِه وإنعامِه ؛ فهي أَوْلَى أن يُقْسَمَ بها من اللَّيلِ ، والنَّهارِ ، والشَّمسِ ، والقَمرِ ، والسَّماءِ ، والنُّجومِ ، وغيرِها مِن الـمخلوقاتِ ؛ فهي دالَّةٌ - أظهرَ دلالةٍ - علَى وحدانيَّتِه ، وقُدرتِه ، وحِكمتِه ، وكَمالِه ، وكَلامِه ، وصِدْقِ رُسُلِهِ .

وقد جَمَعَ سُبحانَه بين الأمرَيْن ؛ أعني : القُرآنَ ، ونُطقَ اللِّسانِ ، وجعلَ تَعليمَها مِن تمامِ نِعمتِه وامتنانِه ؛ كما قالَ :﴿ الرَّحْمَٰنُ ❁ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ❁ خَلَقَ الْإِنسَـٰنَ ❁ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . فبهذهِ الحروفِ علَّمَ القُرآنَ ، وبها علَّم البيانَ ، وبها فضَّلَ الإنسانَ على سائرِ

أنواعِ الـحَيوانِ ، وبها أَنزلَ كُتُبَهُ ، وبها أَرسلَ رُسُلَه ، وبها جُمِعَتِ العلومُ وحُفِظَتْ ، وبها انتظَمَت مَصالحُ العبادِ في المَعاشِ والمَعادِ ، وبها يَتميَّزُ الحقُّ مِن الباطلِ ، والصَّحيحُ مِن الفاسدِ ، وبها جُمِعَتْ أَشتاتُ العلومِ ، وبها أمكنَ تَنقُّلُها في الأذهانِ ، وكم جُلِبَ بها مِن نعمةٍ ، ودُفِعَ بها مِن نقمةٍ ، وأُقيلَتْ بها مِن عَثْرةٍ ، وأُقيمَتْ بها من حُرمةٍ ، وهُدِيَ بها مِن ضلالةٍ ، وأُقيمَ بها مِنْ حَقٍّ ، وهُدِمَ بها مِن باطلٍ ! فآياتُه سُبحانَه في تَعليمِ البيانِ كآياتِه في خَلْقِ الإنسانِ ، و :

لَوْلاَ عَجائبُ صُنْعِ اللَّـهِ ما ثبتَتْ ... تلك الفضائلُ في لَحْمٍ ولا عَصَبِ

فسُبحانَ مَنْ هذا صُنْعُهُ في هواءٍ يخرجُ من قَصَبةِ الرِّئةِ ، فيَنضمُّ في الحُلْقومِ ، ويَنفرشُ في أقصى الحَلْقِ ، ووَسطِه ، وآخرِه ، وأَعلاه ، وأَسفلِه ، وعلَى وَسطِ اللِّسانِ ، وأَطرافِه ، وبينَ الثَّنايا ، وفي الشَّفتَينِ ، والخيشومِ ؛ فيُسمَعُ له عندَ كلِّ مَقطعٍ مِن تلك المقاطعِ صَوتٌ غيرُ صوتِ المَقْطَعِ المُجاورِ له ؛ فإذا هو حَرفٌ ، فألهَمَ سُبحانَه الإنسانَ بضَمِّ بعضِها إلى بعضٍ ؛ فإذا هي كلماتٌ قائمةٌ بأنفُسِها .

ثمَّ ألـهَمهُم تأليفَ تلكَ الكلمـاتِ بعضَها إلى بعضٍ ؛ فإذا هي كلامٌ دالٌّ على أنواعِ المعاني : أمرًا ، ونهيًا ، وخبرًا ، واستخبارًا ، ونفيًا ، وإثباتًا ، وإقرارًا ، وإنكارًا ، وتصديقًا ، وتكذيبًا ، وإيجـابًا ، واستحبابًا ، وسؤالاً ، وجوابًـا ، إلى غيرِ ذلك من أنواعِ

الخطابِ ؛ نَظْمِه ، ونَثْرِهِ ، ووجيزِه ، ومُطَوَّلِه ، على اختلافِ لُغاتِ الخلائقِ . كلُّ ذلكَ صَنعتُه تبارَكَ وتَعالى في هواءٍ مُجَرَّدٍ ، خارجٍ مِن باطنِ الإنسانِ إلى ظاهرِه ، في مجارٍ قد هُيِّئَتْ وأُعِدَّت لتَقطيعِه وتَفصيلِه ، ثمَّ تأليفِه وتوصيلِه ؛ فتبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ ، وأحسنُ الخالِقينَ ! فهذا شَأْنُ الحَرْفِ المخلوقِ . وأمَّا الحرفُ الَّذي به تكونُ المخلوقاتُ ؛ فشأنُه أعلَى وأجلُّ .

وإذا كانَ هذا شأنَ الحروفِ ؛ فحَقيقٌ أن تُفتتَحَ بها السُّورُ كما افتُتِحَتْ بالأقسامِ ؛ لِمَا فيها مِن آياتِ الرُّبوبيَّة ، وأدلَّةِ الوحدانيَّةِ ؛ فهي دالَّةٌ على كمالِ قُدرتِه سُبحانِه ، وكمالِ عِلْمِه ، وكَمالِ حِكمتِه ، وكَمالِ رَحمتِه ، وعِنايتِه بخَلقِه ، ولُطفِه ، وإحسانِه .

وإذا أعطيتَ الاستدلالَ بها حَقَّهُ ؛ استدلَلْتَ بها على المبدإِ ، والمعادِ ، والخلقِ ، والأمرِ ، والتَّوحيدِ ، والرِّسالةِ ؛ فهي مِنْ أظهرِ أدلَّة شهادة أن لَّا إلهَ إلَّا الله ، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه ، وأنَّ القرآنَ كلامُ الله ، تكلَّم به حقًّا ، وأنزلَه على رَسولِه وَحْيًا ، وبلَّغَه كما أوحَى إليه صِدْقًا .

ولا تُهْمِلِ الفِكْرَةَ في كُلِّ سورةٍ افتُتِحَتْ بهذه الحروفِ ، واشتمالها علَى آيات هذه المطالب وتقريرها ، وبالله التَّوفيق » اهـ



## تنكير التَّعظيم في قوله تعالَى : ﴿ وإنَّ لَكَ لَأَجْرًا ﴾

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ثمَّ أخبرَ سُبحانَه عن كمالِ حالتَيْ نبيِّه في دُنياه وأُخراه ؛ فقال : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ؛ أي : غير مقطوعٍ ؛ بل هو دائمٌ مستمرٌّ . ونكَّر ( الأَجْرَ ) تنكيرَ تعظيمٍ ؛ كما قال : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾ ، و﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ﴾ ، و﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ ، و﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ ، و﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ ، وهو كثيرٌ .

وإنَّما كان التَّنكير للتَّعظيم ؛ لأنه صُوِّرَ للسَّامع بمنزلة أمرٍ عظيمٍ ، لا يُدْرِكُهُ الوَصْفُ ، ولا ينالُهُ التَّعبيرُ » اهـ

❀ ❀ ❀

## اختِلافُهم في تَقديرِ قولِه تعالَى : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ ، ورأيُ ابنِ القيِّمِ في هذا

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ : « وقد اختُلِفَ في تقديرِ قولِه : ﴿ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ :

- فقالَ أبو عُثمانَ المازنيُّ : هو كلامٌ مُستأنَفٌ ، و( المفتونُ ) – عندَه – مَصدرٌ ؛ أي : بأيِّكم الفِتْنةُ ، والاستِفهامُ عن أمرٍ دائرٍ بين اثنَين ، قد عُلِمَ انتفاؤُه عَنْ أحدِهما قَطعًا ؛ فتعيَّن حُصولُه للآخَرِ .

- والجمهورُ علَى خِلافِ هذا التَّقديرِ ، وهو عندَهم مُتَّصِلٌ بما قبلَه ، ثُمَّ لهم فيه أربعةُ أوجُهٍ :

١. أحدُها : أنَّ الباءَ زائدةٌ ، والمعنَى : أيُّكم المفتونُ ، وزِيدَتْ في المبتدأ كما زِيدَتْ في قولِكَ : بِحَسْبِكَ أن تفعلَ ؛ قالَه أبو عُبيد .

٢. الثَّاني : أنَّ ( المفتونَ ) بمَعنى الفِتنةِ ؛ أي : ستُبْصِرُ ويُبْصِرون بأيِّكم الفِتنةُ ، والباءُ علَى هذا ليسَت بزائدةٍ ؛ قالَه الأخفشُ .

٣. الثَّالثُ : أنَّ ( المفتونَ ) مَفعولٌ علَى بابِه ؛ ولكن : هنا مُضافٌ محذوفٌ ؛ تقديرُه : بأيِّكم فُتونُ المفتونِ ، وليسَت الباءُ زائدةً ؛ قالَه الأخفشُ - أيضًا - .

٤. الرَّابعُ : أنَّ ( الباءَ ) بمعنى ( في ) ، والتَّقديرُ : في أيِّ فريقٍ منكُمُ النَّوع المَفتونُ ، والباءُ على هذا ظَرفيَّةٌ .

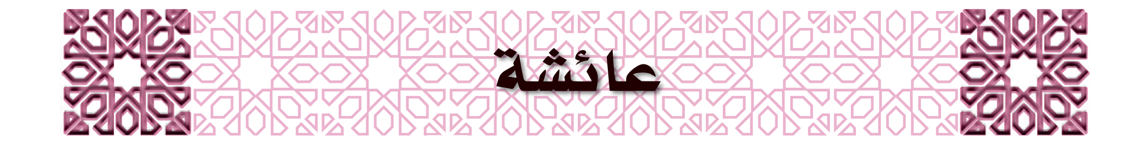
وهذه الأقوالُ كُلُّها تَكلُّفٌ ظاهرٌ ، لا حاجةَ إلى شيءٍ منه .

و( ستُبْصِرُ ) مُضمَّنٌ معنَى : تشعرُ ، وتَعْلَمُ ؛ فعُدِّيَ بالباءِ ؛ كما تقولُ : ستَشعُر بكذا ، وتعلَمُ به ؛ قالَ تعالى : ﴿ أَلَـمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ﴾ . وإذا دعاك اللَّفْظُ إلى المعنَى من مكانٍ قريبٍ ؛ فلا تُجِبْ مَن دعاكَ إليه من مكانٍ بعيدٍ » اهـ

❀ ❀ ❀

من حلقة البلاغة والنقد



# شذرات من كتاب : التبيان في

# أقسام القرآن

## لابن قيم الجوزية (٣)

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى رسولِ الله ، أمَّا بعدُ : فهذه شَذَراتٌ التقطتُها مِن كتابِ ( التِّبيان في أقسامِ القُرآن ) ، للإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمهُ اللهُ تعالَى ، وأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن ينفعَ بها .

❀ ❀ ❀

## المناسبةُ بينَ المُقسَمِ به والمُقسَمِ عليه في سورةِ الواقعةِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « وعلَى هذا : فتكونُ المناسبةُ بين ذِكْرِ النُّجومِ في القَسَمِ ، وبين المُقْسَمِ عليه – وهو القرآنُ – من وُجوهٍ :

– أحدها : أنَّ النُّجوم جَعَلَها اللهُ يُهتدَى بها في ظُلُمـات البرِّ والبَحْرِ ، وآياتُ القرآنِ يُهتدَى بها في ظُلمـاتِ الجَهْلِ والغَيِّ ؛ فتلك هدايةٌ في الظُّلُمـاتِ الحسيَّـةِ ، وآياتُ

القرآنِ في الظُّلماتِ المعنويَّةِ ؛ فجَمَعَ بين الهِدايتَينِ .

- مع ما في النُّجومِ من الرُّجومِ للشَّياطينِ ، وفي آياتِ القرآنِ مِن رُجومِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ .
- والنُّجومُ آياتُه : المشهودةُ المعايَنةُ ، والقرآنُ آياتُه : المتلوَّةُ السَّمعيَّةُ .
- مع ما في مواقعِها عندَ الغروبِ من العِبرةِ ، والدَّلالةِ على آياتِه القرآنيَّةِ ، ومواقعِها عندَ النُّزولِ » اهـ

❋ ❋ ❋

## حُسْنُ الاعتراضِ

قالَ الإمامُ ابن القيِّم رحمهُ اللهُ تعالَى : « والمقسَمُ عليه قولُه تعالَى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ ، ووقعَ الاعتراضُ بين القَسَمِ وجوابِه بقولِه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، ووقعَ الاعتراضُ بينَ الصِّفةِ والموصوفِ في جُملةِ هذا الاعتراضِ بقولِه تعالَى : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ فجاءَ هذا الاعتراضُ في ضِمنِ هذا الاعتراضِ ألطفَ شيءٍ ، وأحسنَه مَوْقِعًا .

وأحسنُ ما يقعُ الاعتراضُ إذا تضمَّنَ تأكيدًا ، أو تنبيهًا ، أو احترازًا ؛ كقولِه تعالَى :

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾؛ فاعترضَ بينَ الـمُبتدإِ والخـبرِ بقولِه : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ ؛ لِمَا تضمَّنه ذلك مِنَ الاحترازِ الرَّافعِ لتَوهُّمِ مُتوهِّمٍ أنَّ الوعدَ إنَّما يستحقُّه مَنْ أتَى بجميعِ الصَّالحات ؛ فَرَفَعَ ذلك بقولِه : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ . وهذا أحسنُ مِنْ قَوْلِ مَنْ قالَ : إنَّه أَخبَرَ عَن ( الَّذِينَ آمَنُوا ) ، ثمَّ أخبرَ عنهُم بخبرٍ آخَر ؛ فهُما خَبَران عَنْ مُخْبَرٍ واحدٍ ؛ فإنَّ عَدَم التَّكليفِ فَوْقَ الوُسْعِ لا يخصُّ الَّذين آمَنوا ، بل هُوَ حُكْمٌ شاملٌ لجميعِ الخَلْق ، مَعَ ما في هذا التَّقديرِ مِنْ إخلاءِ جملةِ الخَبَرِ عَنِ الرَّابط ، وتقديرِ صفةٍ محذوفةٍ ؛ أي : نَفْسًا مِنْهُم ، وتَعطيلِ هذه الفائدةِ الجليلةِ » اهـ

ثمَّ قالَ رحمهُ اللهُ تعالى : « فتأمَّلْ حُسْنَ الاعتراضِ وجزالته في قول الرَّبِّ تبارك وتعالَى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَـا يُنَزِّلُ قَالُوٓا إِنَّـمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ ؛ فقوله : ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَـا يُنَزِّلُ ﴾ : اعتراضٌ بين الشَّرْطِ وجَوابه أفادَ أُمورًا :

- مِنها : الجوابُ عن سُؤالِ سائلٍ : ما حكمةُ هذا التَّبديلِ ؟ وما فائِدتُه ؟
- ومِنها : أنَّ الَّذي بُدِّلَ وأُتِيَ بغَيْره : مُنَزَّلٌ مُحْكَمٌ نزولهُ قبلَ الإخبارِ بقَولِهم .
- ومِنها : أنَّ مَصْدَرَ الأَمْرَيْن عَنْ عِلْمِهِ تباركَ وتعالَى ، وأنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا مُنَزَّلٌ ؛ فيَجبُ التَّسليمُ والإيمانُ بالأَوَّلِ والثَّاني .

ومِنَ الاعتراضِ الَّذي هُوَ في أعلَى دَرَجات الحُسْنِ : قولُه تعالَى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـٰنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ؛ فاعترضَ بذِكْرِ شأنِ حَمْلِهِ ووَضْعِه بينَ الوصيَّةِ والمُوصَى به ؛ تَوكيدًا لأمرِ الوَصيَّةِ بالوالدةِ الَّتي هذا شأنُها ، وتذكيرًا لوَلَدِها بحَقِّها ، وما قاسَتْهُ مِنْ حَمْلِهِ ووَضْعِهِ ممَّا لَمْ يَتكلَّفْهُ الأبُ .

ومِنه قولُه تعالَى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّٰرَٰءْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ ؛ فاعترضَ بقولِه : ﴿ وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ بينَ الجُمَلِ المعطوفِ بعضُها علَى بعضٍ ؛ إعلامًا بأنَّ تدارُؤَهُمْ وتدافُعَهُمْ في شأنِ القتيلِ ليسَ نافعًا لَهُمْ في كِتْمانه ؛ فالله يُظْهِرُه ولا بُدَّ .

ولا تَسْتَطِلْ هذا الفَصْلَ وأمثالَه ؛ فإنَّه يُعْطيكَ ميزانًا ، وينهجُ لكَ طريقًا يُعينكَ علَى فَهْمِ الكتابِ ، واللهُ المستعانُ » اهـ

❀ ❀ ❀

## قال تعالَى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ﴾ ، ولَمْ يَقُلْ : ( وَمَا ينطِقُ بالهَوَى )

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعـالَى : « وقالَ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْـهَوَىٰ ﴾ ، ولَـمْ يَقُلْ :

( وما ينطقُ بالهوَى ) ؛ لأنَّ نُطْقَهُ عَنِ الهَوَى أَبْلَغُ ؛ فإنَّه يتضمَّنُ أنَّ نُطْقَهُ لا يَصْدُرُ عَنْ هوًى ، وإذا لَمْ يَصْدُرْ عَنْ هَوًى فكَيْفَ يَنطِقُ به ؟! فتضمَّن نَفْيَ الأَمْرَيْنِ : نَفْيَ الهَوَى عَن مصدرِ النُّطْقِ ، ونَفْيَهُ عَن نَّفْسِهِ ؛ فنُطْقُهُ بالحقِّ ، ومَصْدَرُهُ الهُدَى والرَّشادُ ، لا الغَيُّ والضَّلالُ » اهـ

❋ ❋ ❋

## ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « وأخبرَ سبحانَه عن مسافةَ هذا القُرْبِ بأنَّه قَدْر قوسَيْن أو أدنَى مِن ذلك ، وليسَ هذا على وَجْهِ الشَّكِّ ؛ بل تحقيقٌ لقَدْرِ المسافةِ ، وأنَّها لا تزيدُ عن قوسينِ البتَّةَ ؛ كما قالَ سبحانَه : ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ تحقيقًا لهذا العددِ ، وأنَّهم لا ينقصونَ عن مائةِ ألفٍ رجلاً واحدًا .

ونظيرُه قولُه تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ؛ أي : لا تَنقصُ قسوتُـها عن قسوةِ الحجارةِ ؛ بل إن لـم تزد علَى قَسوةِ الحجارةِ ؛ لَمْ تكن دُونها .

وهذا المعـنَى أحسنُ وألطفُ وأدقُّ مِن قَـوْلِ مَن جَعَلَ ﴿ أَوْ ﴾ في هـذه المواضـعِ

بمعنَى ( بَلْ ) ، ومِن قَوْلِ مَن جَعَلَها للشَّكِّ بالنِّسبةِ إلى الرَّائي ، وقولِ من جَعَلَها بمعنَى ( الواو ) ؛ فتأمَّلْهُ » اهـ

❋ ❋ ❋

## مدحُ النبيِّ ﷺ في سُورةِ النَّجمِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعـالَى : « فنزَّهَ في هذه السُّورةِ عِلْمَهُ عن الضَّلالِ ، وقَصْدَه وعَمَلَهُ عَنِ الغَيِّ ، ونُطْقَهُ عَنِ الهوَى ، وفؤادَه عن تكذيبِ بَصَرِهِ ، وبَصَرَهُ عن الزَّيغِ والطُّغيانِ ، وهكذا يكونُ المَدْحُ .

تِلْكَ الـمَكارمُ لا قَعْبانِ مِن لَّبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعادَا بَعْدُ أَبْوالاَ » اهـ

❋ ❋ ❋

## الاستطرادُ أسلوبٌ لطيفٌ جدًّا في القرآنِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ولَمَّا ذَكَرَ رُؤيتَه لجبريلَ عند سِدْرةَ المُنتهَى ؛ استطرَدَ منها ، وذَكَرَ أنَّ جَنَّةَ المأوَى عندَها ، وأنَّه يغشَاها مِن أمرِه وخَلْقِهِ ما يَغْشَى .

وهذا مِنْ أحسنِ الاستطرادِ ، وهو أسلوبٌ لطيفٌ جِدًّا في القرآنِ ، وهو نوعانِ :

- **أحدُهما** : أن يستطردَ مِنَ الشَّيءِ إِلَى لازمه ؛ مثل هذا ، ومثل قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ، ثمَّ استطردَ مِن جوابِهم إِلَى قوله : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُواْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ ، وهذا ليسَ مِن جوابِهِمْ ؛ ولكنْ تقريرٌ له ، وإقامةُ الحجَّةِ عليهِم . ومِثلُه قولُه تعالَى : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ * قالَ رَبُّنَا الَّذِىَ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلا يَنسَى ﴾ ، فهذا جوابُ مُوسَى ، ثُمَّ استطردَ سبحانَه مِنه إلى قولِه : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ أَزْوَاجًا مِّنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُواْ وَارْعَوْا أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِى النُّهَىٰ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ، ثمَّ عادَ إلى الكلامِ الَّذي استطردَ مِنه .

- **والنَّوعُ الثَّاني** : أن يَستطرِدَ مِن الشَّخصِ إلى النَّوعِ ؛ كقولِه : ﴿ ولَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ إلى آخره ؛ فالأوَّلُ : آدمُ ، والثَّاني : بَنوهُ .

ومثلُه قولُه : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّـٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَاْ اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـٰكِرِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا ﴾ إِلَى آخرِ الآياتِ ؛ فاستطردَ من ذِكْر الأبوَيْن إلى ذكرِ المُشركِين مِن أولادِهما » اهـ

❋ ❋ ❋

## قال تعالَى : ﴿ لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ ولَمْ يَقُلْ : ( ولا إِثم )

قـالَ ابنُ القيِّمِ رحـمـهُ اللهُ تعالَى : « وقالَ سبحانَه : ﴿ وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾، ولـم يَقُـل : ( ولا إِثم ) ؛ أي : ليسَ فيها ما يَحمِلُهم على الإثمِ ، ولا يُؤَثِّمُ بَعضُهم بعضًا بشُربِها ، ولا يُؤثِّمهم اللهُ بذلك ، ولا الملائكةُ ؛ فلا يَلغُون ، ولا يَأثَمون » اهـ

❋ ❋ ❋

## إلامَ تُشير صفةُ ( المنثور ) في قولِه تعالَى : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ ؟

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ... وَوَصَفَهُم في مَوضعٍ آخَرَ : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ ؛ ففي ذكرِه ( المنثورَ ) إشارةٌ إلى تفرُّقِهم في حوائـجِ ساداتِهم ،

وخِدمتِهم ، وذهابِهم ، ومجيئِهم ، وسَعةِ المكانِ ؛ بحَيثُ لا يَحتاجونَ أن يَنضمَّ بعضُهُم إلى بَعضٍ فيه لِضيقِهِ » اهـ

❀ ❀ ❀

## انتقالُ القَسَم في سورةِ الذَّارياتِ مِن السَّافلِ إلى العالي

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ومِن ذلكَ قولُه : ﴿ وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝ فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝ فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝ فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ : أقسم بالذَّارِياتِ ؛ وهي الرِّياحُ تَذرو المطرَ ، وتَذرو التُّرابَ ، وتَذرو النَّباتَ إذا تهشَّمَ ؛ كما قالَ تعالَى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ ﴾ ؛ أي : تُفَرِّقُه ، وتَنشرُه .

ثُمَّ بما فوقَها ؛ وهي السَّحابُ الحامِلاتُ وِقْرًا ؛ أي : ثِقلًا مِّن الماءِ ، وهي رَوايا الأرضِ ...

ثُمَّ أقسمَ سبحانَه بما فوقَ ذلك ؛ وهي الجارياتُ يُسرًا ؛ وهي النُّجومُ الَّتي مِن فوقِ الغَمامِ ، و﴿ يُسْرًا ﴾ ؛ أي : مُسخَّرةٌ ، مُذلَّلةٌ ، مُنقادةٌ . وقالَ جماعةٌ مِّن المفسِّرين : إنَّها السُّفُن تجري مُيسَّرةً في الماءِ ، جَريًا سَهلًا ، ومِنْهُم مَّن لَـم يَذْكُرْ غيرَه .

واختارَ شَيخُنا رحمهُ اللهُ القَوْلَ الأوَّلَ ، وقالَ : هو أَحسنُ في التَّرتيبِ ، والانتقالِ

من السَّافلِ إلى العالي ؛ فإنَّه بدأَ بالرِّياحِ ، وفوقَها السَّحابُ ، وفوقَه النُّجومُ ، وفوقَها الملائكةُ ، المقسِّماتُ أمرَ الله الَّذي أُمِرَتْ به بين خَلْقِه » اهـ

❋ ❋ ❋

## وَصفُ الوَعْدِ بكونِهِ ( صادقًا ) في قولِه تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ أبلغُ مِن وصفِهِ بكونِهِ ( صِدْقًا )

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « وَوَصْفُ الوَعْدِ بكونِهِ ( صادقًا ) أبلغُ من وصفِهِ بكونِهِ ( صِدْقًا ) ، ولا حاجةَ إلى تكلُّفِ جَعْلِهِ بمَعنى : مَصْدوقٌ فيهِ ؛ بل هو صادقٌ نفسُه ؛ كما يُوصَفُ المتكلِّم بأنَّه صادقٌ في كلامِهِ ، فوَصفَ كلامَه بأنَّه صادِقٌ ، وهذا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : سِرٌّ كاتِمٌ ، وليلٌ قائمٌ ، ونَهارٌ صائمٌ ، وماءٌ دافقٌ ، ومنه : عيشةٍ رَّاضِيةٍ ، وليسَ ذلك بمَجازٍ ، ولا مُخالِفٍ لِـمُقتضَى التَّركيبِ » اهـ

❋ ❋ ❋

## الفرقُ بينَ السَّهوِ والنِّسيانِ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ثُمَّ وَصَفَهم بأنَّهُمْ ساهُونَ في غَـمْرَتِهِمْ ، والسَّهْوُ :

الغَفْلَةُ عَن الشَّيءِ ، وذهابُ القَلْبِ عنه ، والفَرْقُ بينَهُ وبينَ النِّسيانِ : أنَّ النِّسيانَ الغَفْلةُ بَعْدَ الذِّكْرِ والمعرفةِ ، والسَّهْوُ لا يستلزمُ ذَلِكَ » اهـ

❀❀❀

## تفسيرُ قولِه تعالى : ﴿ يُفْتَنُونَ ﴾

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى : « ثُمَّ قالَ : ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ استِبعادًا للوُقوعِ ، وجَحْدًا ، فأخبرَ تَعَالَى أنَّ ذلكَ : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ .

والمشهورُ في تفسيرِ هذا الحرفِ أنَّه بمعنَى : يُحْرَقُونَ ؛ ولكنَّ لَفْظَةَ ( عَلَى ) تُعْطي معنًى زائدًا علَى ما ذَكَروه ، ولو كانَ الـمُرادُ نَفْسَ الحرقِ ؛ لقيلَ : ( يومَ هُمْ في النَّارِ يُفْتَنونَ ) . ولهذا : لَـمَّا عَلِمَ هؤلاءِ ذلكَ ؛ قالَ كثيرٌ مِّنهم : ( علَى ) بمعنَى ( في ) ، كما تكون ( في ) بمعنى ( علَى ) .

والظَّاهرُ أنَّ فِتْنَتَهم علَى النَّارِ قَبْلَ فتنتِهم فيها ، فلَهُمْ عِندَ عَرْضِهِم عليها ووقوفِهم عليها فتنةٌ ، وعندَ دُخولِهم والتَّعذيبِ بها فتنةٌ أشدُّ منها .

ومَن جَعَلَ الفِتْنَةَ ههنا مِنَ الحريقِ ؛ أَخَذَهُ مِن قَوْلِهِ تعالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُواْ الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ ﴾ ، واستَشهدَ علَى ذلك – أيضًا – بهذه اللَّفْظَةِ الَّتي

في الذَّارياتِ .

وحقيقةُ الأَمْرِ أنَّ الفِتْنَةَ تُطْلَقُ علَى العذابِ وسَبَبِهِ ؛ ولهذا سَمَّى اللهُ الكُفْرَ فِتْنةً . فهُم لَـمَّا أَتَوْا بالفِتْنةِ – الَّتي هي أسبابُ العذابِ في الدُّنيا – ؛ سَمَّى جزاءَهُم فِتْنةً ؛ ولهذا قالَ : ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ، وكانَ وقوفُهم علَى النَّار وعرضُهم عليها مِنْ أعظمِ فِتْنتِهم ، وآخرُ هذه الفتنةِ : دخولُ النَّارِ ، والتَّعذيبُ بِها .

ففُتِنوا أوَّلاً بأسبابِ الدُّنيا وزينتِها ، ثمَّ فُتِنوا بإرسالِ الرُّسلِ إليهم ، ثمَّ فُتِنوا بمُخالفتِهم وتكذيبِهم ، ثمَّ فُتِنوا بعذابِ الدُّنيا ، ثُمَّ فُتِنوا بعذابِ المَوْتِ ، ثُمَّ يُفتَنون في موقفِ القيامةِ ، ثُمَّ إذا حُشِروا إلى النَّارِ ، ووُقِفوا عليها ، وعُرِضوا عليها ، وذلك مِن أعظمِ فتنتِهم ، ثمَّ الفِتنةُ الكُبْرَى الَّتي أنسَتْهُم جميعَ الفِتَنِ قَبْلَها » اهـ

❀ ❀ ❀

## أحسن ما خُتِمَتْ به الأعمالُ : التَّوبةُ والاستغفارُ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ : « ثُمَّ أخبرَ عنهُم بأنَّهم معَ صلاتِهم باللَّيل كانوا يَستغفرونَ اللهَ عندَ السَّحَرِ ، فخَتَموا صلاتَهم بالاستغفارِ والتَّوبةِ ، فباتوا لربِّهم سُجَّدًا وقِيامًا ، ثمَّ تابوا إلَيه واستغفروه عَقيبَ ذلك .

وكانَّ النبيُّ ﷺ إذا سلَّم مِن صلاتِه استغفَر ثلاثًا ، وأَمَرَهُ اللهُ سبحانَه أن يَختمَ عُمرَه بالاستغفارِ ، وأَمَرَ عبادَه أن يَختموا إفاضَتَهم مِّن عرفاتٍ بالاستِغفارِ ، وشَرعَ للمُتوضِّئِ أن يَختمَ وُضوءَه بالتَّوبةِ . فأحسنُ ما خُتِمَتْ به الأعمالُ : التَّوبةُ والاستغفارُ » اهـ

❁ ❁ ❁

## لطيفةٌ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ : « وجَعَلَ سبحانَه على اللِّسان غلقَيْن : أحدُهما الأسنانُ ، والثَّاني الفمُ ، وجَعَلَ حَرَكَتَه اختياريَّة ، وجَعَلَ على العَيْنِ غِطاءً واحدًا ، ولَمْ يَجْعَلْ على الأُذُنِ غِطاءً ؛ وذلك لِخَطَرِ اللِّسان ، وشَرَفِهِ ، وخَطَرِ حَرَكَاتِهِ ، وكَوْنِهِ في الفمِ بمنزلةِ القَلْبِ في الصَّدرِ ، وذلك مِنَ اللَّطائفِ ؛ فإنَّ آفةَ الكلامِ أكثرُ مِنْ آفة النَّظَرِ ، وآفة النَّظرِ أكثرُ مِنْ آفةِ السَّمعِ ؛ فَجَعَلَ للأكثرِ آفاتٍ طَبَقَيْنِ ، وللمُتوسِّط طَبَقًا ، وجَعَلَ الأقلَّ آفةً بلا طَبَقٍ » اهـ

❁ ❁ ❁

## إشاراتٌ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ : « وعندَ أربابِ الإشاراتِ أنَّ بكاءَه إرهاصٌ بين يدَي ما

يُلاقيه مِن الشَّدائدِ ، والآلامِ ، والمخاوفِ ، وأنشدَ في ذلكَ :

ويَبكي بها المولـودُ حَتَّى كأنَّه بِكُـلِّ الَّذي يَلْقـاهُ فيها يُـهَدَّدُ

وإلاَّ فمـا يُبْـكيهِ فيـها وإنَّـها لأَوْسَعُ مِمَّا كانَ فيه وأرْغَدُ ؟!

ولهم نظيرُ هذه الإشارةِ في قبضِ كفِّهِ عندَ خروجِه إلَى الدُّنيا ، وفي فَتْحِها عندَ خُروجِه مِنها ، وهو الإشارةُ إلى أنَّه خَرَجَ إليها مُرَكَّبًا علَى الحِرْصِ ، والطَّمَعِ ، وفارقَها صِفْرَ اليَدَيْنِ مِنْها ، وأنشدَ في ذلك :

وفي قَبْضِ كَفِّ الـمَرْءِ عنـدَ وِلادِهِ دليلٌ علَى الحِرْصِ الَّذي هُوَ مَالِكُهْ

وفي فَتْحِها عندَ الـمَمَـاتِ إشـارَةٌ إلَى فُـرْقَةِ الـمـالِ الَّذي هُوَ تارِكُهْ

ولَهُمْ نظيرُ هذه الإشارةِ في بكاءِ الطِّفْلِ ، وضَحِكِ مَنْ حَوْلَهُ : أنَّ الأَمْرَ سيُبَدَّلُ ، ويصيرُ إلَى ما يُبْكِي مَنْ حَوْلَهِ عِندَ مَوْتِهِ ، كما ضَحِكوا عِندَ وِلادتِه ، وأنشدَ في ذلك :

وَلَدَتْـكَ إذْ وَلَدَتْـكَ أُمُّـكَ بَاكِـيًا والنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرورَا

فَاعْمَل لِّعَـلَّكَ أَن تَكونَ إذَا بَـكَوْا في يَوْمِ مَوْتِـكَ ضَـاحِكًـا مَّسْرُورَا

ونظيرُ هذه الإشارةِ أيضًا قولُهم : إنَّ المولودَ حين ينفصلُ يَمُدُّ يَدَهُ إلَى فِيهِ ؛ إشارةً إلى تَعجيلِ نُزُلِهِ عندَ القُـدُومِ عليه بأنَّه ضيفٌ ومِن تـمـامِ إكرامِه : تَعجيلُ قِراهِ ؛ فأشارَ

بِلِسانِ الحالِ إلى تَرْكِ التَّأخيرِ . ورُبَّما مَصَّ أصبعَه ؛ إشارةً إلى نهايةِ فَقْرِهِ ، وأنَّه بَلَغَ مِنه إلى مَصِّ الأصابعِ ، ومِنه قَوْلُ النَّاسِ لِمَن بَلَغَ به الفَقْرُ غايتَه : هُوَ يَمَصُّ أصابعَه ، وأنشدَ في ذلك :

وَيَهْوِي إلَى فيهِ يَمَصُّ بَنَانَهُ يُطالِبُ بالتَّعجيلِ خَوْفَ التَّشاغُلِ

ويُعْلِمُهُمْ أنِّي فَقيرٌ ولَيْسَ لِي مِنَ القُوتِ شَيْءٌ غَيْرَ مَصِّ الأَنامِلِ

ونظيرُ هذه الإشارةِ أنَّه يَضْحَكُ بعدَ الأَرْبَعينَ ، وذلك عندَما يتعقَّل نفسَه النَّاطقةَ ويُدْرِكُها ، وفي ذلك قِصاصٌ مِن البُكاءِ الَّذي أصابه عند وِلادتِه . وتأخَّرَ بعدَه ؛ لكي يتأسَّى العَبْدُ إذا أصابَتْهُ شِدَّة ؛ فالفرَجُ يأتي في أثرِها :

ويَضْحَكُ بَعْدَ الأَرْبَعينَ إشارَةً إلَى فَرَجٍ وَافاهُ بَعْدَ الشَّدائِدِ

يقولُ : هِيَ الدُّنيا فتُبْكيكَ مَرَّةً وتَضَحْكُ أُخْرَى فاصْطَبِرْ للعَوَائِدِ

قالوا : ويَرى الأماني بعدَ ستِّين يومًا مِّن ولادتِه ؛ ولكنَّه يَنساها لِضَعفِ القُوَّةِ الحافظةِ ، وكثرةِ الرُّطوباتِ ، وفي ذلك لُطْفٌ به أيضًا ؛ لَضعفِ قلبِه عن التفكُّر فيما يَراهُ :

ويرَى بعَيْنِ القَلْبِ إذ يأتي لَهُ ستُّون يومًا رؤيةَ الأَحْلامِ

لكنَّـــه ينســاهُ بَعْـدُ لضَعْــفِهِ  عن ضَبْطِهِ في يَقْظَةٍ وَمَنَامِ » اهـ

❀ ❀ ❀

## القَلبُ والفُؤادُ

قالَ ابنُ القـيِّمِ رحمهُ اللهُ : « والفؤادُ – عندَ أهلِ اللُّغة – هو : القَلْبُ ؛ قالَ الجوهريُّ : الفؤادُ : القلبُ ، وقالَ الأصمعيُّ : وفي الجوفِ الفؤادُ ؛ وهو : القَلْبُ .

وقد فرَّقَ بعضُ أهل اللُّغة بين القَلْبِ والفُؤادِ ؛ فقالَ اللَّيثُ : القلبُ مُضْغَةٌ من الفؤادِ ، مُعلَّقةٌ بالنِّياطِ ، وقالت طائفةٌ : مُستدِقُّ القلبِ .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « جاءَكم أهلُ اليَمَنِ ، هُمْ أرقُّ قُلوبًا ، وألينُ أفئدةً » ؛ ففَرَّقَ بينَهما ، ووَصَفَ القَلْبَ بالرِّقَّةِ ، والأفئدةَ باللِّينِ .

وأمَّا كونُ فمِ المعدةِ هو الفؤاد ؛ فهذا لا نعلمُ أحدًا مِّن أهلِ اللُّغةِ قالَهُ .

وتأمَّلْ وصفَ النَّبيِّ ﷺ القَلْبَ بالرِّقَّةِ ؛ الَّتي هي ضدُّ القساوةِ والغلظةِ ، والفؤادَ باللِّينِ ؛ الَّذي هو ضدُّ اليُبسِ والقَسْوةِ ، فإذا اجتمعَ لينُ الفُؤادِ إلى رقَّة القلبِ ؛ حَصَلَ مِن ذلك الرَّحمةُ ، والشَّفَقةُ ، والإحسـانُ ، ومَعـرفةُ الحقِّ ، وقَبولُه ؛ فإن اللِّـينَ مُوجبٌ

للقَبولِ والفَهْمِ ، والرِّقَّةُ تقتضي الرَّحمةَ والشَّفَقةَ ، وهذا هو العِلمُ والرَّحمةُ ، وبهما كمالُ الإنسانِ ، وربُّنا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحمةً وعِلْمًا » اهـ

❋ ❋ ❋

## السِّرُّ في تَكرارِ التَّقديرِ دونَ التَّفكيرِ ، وذمِّه دونَهُ

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ : « قالَ تعالى عن الوحيدِ : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ❋ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ❋ وَبَنِينَ شُهُودًا ❋ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ❋ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ❋ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا ❋ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ❋ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ❋ فقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ .

فكرَّرَ سبحانَه التَّقديرَ دونَ التَّفكيرِ ، وذمَّه عليه دونَهُ ... فإنَّه بالفِكْرِ طالبٌ لِاستخراجِ المجهولِ ، وذلكَ غيرُ مذمومٍ ، فلمَّا استخرجَه ؛ قَدَّر له تَقديرَينِ : تَقديرًا كُليًّا ، وتَقديرًا جُزئيًّا ؛ فالتَّقديرُ الكُلِّيُّ : أنَّ السَّاحِرَ هو الَّذي يُفرِّق بين المَرْءِ وزَوْجِه ، والتَّقديرُ الجُزئيُّ : أنَّ الَّذي يُفَرِّقُ بين المرءِ وزَوْجِهِ مَذمومٌ ؛ فههُنا تَقديرٌ بعد تَقديرٍ ؛ فلِهذا كَرَّره سبحانَه ، وذمَّه عليهِ . وأمَّا التَّفكيرُ ؛ فإنَّ المفكِّر طالبٌ لمعرفةِ الشَّيءِ ؛ فلا يُذَمُّ ، بخلافِ من قَدَّر بعدَ تَفكيرِه ما يوصلُه إلى تَحقيقِ الباطلِ ، وإبطالِ الحقِّ ؛ فتأمَّلْهُ » اهـ

❋ ❋ ❋

## لِـمَ خَصَّ ( المشارِقَ ) بالذِّكرِ في سورةِ الصَّافَّاتِ ؟

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ : « وَخَصَّ المشارقَ – ههنا – بالذِّكرِ : إمَّا لدلالتِها على المَغاربِ ؛ إذ الأمرانِ المتضايفانِ كلٌّ مِّنهُما يستلزمُ الآخَرَ ، وإمَّا لكونِ المشارقِ مَطالعَ الكواكبِ ، ومظاهرَ الأنوارِ ، وإمَّا توطئةً لِـمَا ذُكِرَ بعدَها مِن تزيينِ السَّماءِ بزينةِ الكواكبِ ، وجَعلِها حِفظًا مِّن كُلِّ شيطانٍ مَّاردٍ ؛ فذِكْرُ المشارقِ أنسبُ بِهذا المعنَى ، وأليَقُ . واللهُ أعلمُ » اهـ

❋ ❋ ❋

وبهذا نَصِلُ إلَى نهاية هذا الـحديثِ ؛ الَّذي صَحِبْنَا فيه هذه الشَّذَراتِ ، واللَّطائفَ ، والفرائدَ المُختارةَ مِن كتابِ ( التِّبيانِ في أقسامِ القُرآنِ ) ، لمؤلِّفِهِ الإمامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمهُ اللهُ تعالى ، وجزاهُ خيرًا ، ونَفَعَ بعُلومِهِ ، وهو كتابٌ نَّافعٌ مَّاتعٌ مُّستطابٌ ، نَنصحُ بقراءتِهِ .

وصلَّى الله علَى نبيِّنا محمَّدٍ ، وعلَى آلهِ ، وسلَّمَ . والحمدُ لله ربِّ العالَمِينَ .

